

التعريف

مليون حكاية
وحكاية نحت النار

شركة الكفيل للاستثمارات العامة



Al Kafeel
Energy Solutions

المبيعات: 07746611071

الكادر الهندسي: 07746611070

الموقع الالكتروني:

<https://alkafeelinv.com/new>



الطاقة الشمسية حل وحيد لمشاكل عديدة

باشترت ملاكات شركة الكفيل للاستثمارات العامة في العتبة العباسية، بنقل تجربتها في استخدام الطاقة الشمسية إلى مشروع العوالي الزراعي في محافظة كربلاء المقدسة. وتعد "منظومات الطاقة الشمسية من أهم مصادر الطاقة الصديقة للبيئة، لكونها خالية من الانبعاثات"، مشيراً إلى أن "المواد الخاصة بالمنظومات يتم تجهيزها من منشآت عالية رصينة تطابق المواصفات المطلوبة، يتم فحصها قبل تركيبها فضلاً عن المتابعة المستمرة للمنظومات بعد التركيب من قبل ملاكات متخصصة



للطلب والاستفسار:

مراسلة الصفحة أو الاتصال على

الكادر الهندسي : 07746611070

المبيعات : 07746611071



النجف الأشرف

شهرية - اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

مجلة النخبة الثقافية العراقية

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد، رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

العدد (٢٥٤) شهر ذي القعدة ١٤٤٧هـ

٥٩ مستشفى الكفيل	٦ موضوع العدد
منظومة طبية متكاملة - رشا الخالدي	مليون حكاية وحكاية - نور شومان
٦٢ طب	٢٢ الخطاطون
الاختلال العقلي - مسلم القراغولي	أصالة الحرف وفلسفة التجريد - رحيم الجبوري
٧٨ قراءة في كتاب	٣٧ حديث الصورة
شطحات العقل بين الابداع والجنون	رحلة فريزر - تحسين عمارة
٨٧ واحة الدين	٤٦ مقالات
مفاهيم قرآنية - الشيخ علي الغزي	المطبخ بين القداسة والشفهية

رئيس مجلس الإدارة: السيد محمد حسين العميدي
رئيس التحرير: ليث الموسوي مدير التحرير: غيث شُبر
الإخراج الفني: لبنان - بيروت - مقداد غرافيك - سوسن مقداد

شروط النشر في المجلة أن لا تكون المقالة منشورة سابقاً، وأن تكون بين ٥٠٠ إلى ٤٠٠٠ كلمة، وترسل للعناوين أدناه، مع السيرة الذاتية للكاتب. المجلة غير ملزمة ببيان سبب رفض المقال.

Website: www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org
E.mail: najafmag@gmail.com
P.O.Box: 365

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد النجف الأشرف
نهاية شارع الرسول(ص)



اتصل بمجلة النجف
الأشرف

+964 780 779 0073



مجلة النجف الأشرف

القباحة المفرطة

لطالما تشدق أهل هذه العصور خصوصا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من استطاعتهم ترسيخ المعاني الانسانية السامية، وإقرارهم لما سموه بحقوق الانسان، ومعالم النظام الدولي، والعدالة ونحوها من المسميات والتي حرصوا جراءها كما يبدو أن لا يقعوا في فخ الجرائم الدولية الفادحة في حق الناس الأبرياء.

وبهذه الاتفاقات حاول الإنسان أن يثبت أنه انتقل إلى مرحلة جديدة من الرقي كونه بشرا وليس حيوان غاب لا تحكمه قوانين أو مبادئ أو قيم أخلاقية، إلا أن الغريب أننا اليوم نشاهد بأعيننا تسافلا أخلاقيا لم نشهد له نظيرا منذ فترة تاريخية طويلة. فتجد شخصيات تقود دولا وكيانات تتباهى بشكل فاضح بمتعة القتل! وتصرح علنا بهذا، ولا نجد أحدا من هذا المجتمع العالمي يجرؤ على الوقوف بوجهها.

اليوم هذه الصورة القائمة تعود للواجهة كما كانت تحدث في التاريخ أيام الجبابرة الذين لا يمنعهم شيء من ارتكاب الفظائع، جبابرة اليوم لم يعد يلفت انتباههم الذرائع المغلفة بالحق، بل لم يعد يهمهم ما هو حق وباطل، فهم أهل باطل وليضرب البشر رؤوسهم بالحائط، هم مجرمون اعترضت أو قبلت فلن يغير ذلك شيئا.

إننا اليوم نمر بمرحلة التباهي بالقباحة المفرطة، والمبالغة في الإيغال بالدماء، ولعل هذه المرحلة مرت بها امبراطوريات كثيرة في التاريخ، لكنها وعلى كامل مسار الزمن كانت دوما تمثل الفصل الأخير من حياة تلك السلطات الغاشمة.

مليون حكاية وحكاية تحت النار

نور شومان



لم تكن ليلة الاثنين ليلة عادية في الضاحية الجنوبية. انهارت صمت الليل على وقع القصف المدوّي، فاندفع الناس بين الشوارع والطرقات، تاركين خلفهم حياتهم كما كانت، حاملين أطفالهم وسط الرعب والظلام. ساعات طويلة قضوها في العراء، لعلهم يرتشفوا الأمان الذي بدا بعيداً كسراب، ومن تلك اللحظة بدأت رحلة النزوح، رحلة فرضت عليهم مواجهة واقع صارم لا يرحم، واقع يحتاج إلى إرادة صامته وقوة تفوق حجم الخوف.





عكار، التي تحوّلت إلى الملاذ الأخير بسبب قدرتها الاستيعابية المحدودة. وتفاوتت ظروف الإيواء بين العائلات، إذ لجأ البعض إلى مراكز إيواء جماعية كالمدارس والقاعات الرياضية، بينما اضطر آخرون للإقامة لدى عائلات مضيضة أو استئجار شقق بأسعار مرتفعة، ما زاد من الأعباء المعيشية.

قصص من قلب النزوح

طالبة سكن داخلي:

أنا غدير، طالبة جامعية أسكن في سكن للطالبات في حارة حريك - الضاحية الجنوبية، بعيدة عن أهلي في بعلبك، لم أكن أتخيل أن الثانية بعد منتصف الليل ستكون نقطة تحوّل في حياتي. أغلقت حاسوبني استعداداً للنوم، لكن قبل أن

لم تكن الدقائق كافية لاحتواء ذاكرة اللبنانيين، فمع أولى أصوات القصف بدأت رحلة النزوح: طرقات مكتظة، وخوف يسبق الجميع. أكثر من مليون نازح، حتى أواخر آذار ٢٠٢٦، وجدوا أنفسهم خارج منازلهم، في واحدة من أكبر الأزمات الإنسانية التي يشهدها البلد بل العالم، فكيف يبدو التوزيع الجغرافي وأين تتركز موجات النزوح؟

تركزت موجات النزوح بشكل أساسي من مناطق الجنوب، الضاحية الجنوبية، والبقاع، حيث دفعت حدة القصف السكان إلى مغادرة منازلهم بسرعة؛ في المقابل، استقبلت مناطق جبل لبنان وبيروت أعداداً كبيرة من النازحين، قبل أن تمتد موجة النزوح نحو الشمال، وتحديداً

كانت اختباراً آخر لصبرنا، لم يكن مجرد نزوح، بل رحلة أعمق من الألم والخوف، رحلة تتطلب قوة إضافية لحماية من نحب. من تلك اللحظة - من تحت ركام تلك

الليلة - بدأت رحلة النزوح الحقيقية. رحلة لم أعشها وحدي، بل عاشت تفاصيلها آلاف العائلات التي وجدت نفسها تُغادر بيوتها بحثاً عن أمان مؤقت.

وانتقلنا لنسكن في قرية نزورها لأول مرة نازحين، قرية تعتبر بعيدة من القصف، ورغم توفر معظم مستلزمات السكن الا اننا نشعر انه هنالك شيء ناقص لا يستطيع ان يأمنه احد الا جدار منزلنا. نشكر الله ونحمده وندعو ان تنتهي هذه المحنة بأسرع وقت.

قائدة كشفية:

وفي مقابلة أخرى مع إحدى النازحين وهي موظفة في قسم الأنشطة في إحدى المدارس وقائدة في جمعية كشافة المبرات وجواباً على سؤال تجربتها خلال الحرب قالت:

السلام عليكم، أنا إسمي فرح المحمود، عمري ٣٠ سنة، نازحة من الضاحية الجنوبية. كلمة «نازحة» صعبة قليلاً، خاصة أننا ما زلنا ضمن بلدنا، ولكن في النهاية الإنسان الذي يخرج من منزله يصبح نازح.

يصل رأسي إلى الوسادة، اخترق سكون الليل دويّ قصف عنيف هزّ المكان. ارتجّ السكن، وتعالى الصراخ في الممرات، واندفعنا نحو الشارع بلا تفكير.

لم نستوعب ما يجري إلا حين رأينا البناية المقابلة تُضرب أمام أعيننا. ركضنا نحو مستشفى بهمن القريب بحثاً عن أي مساحة آمنة، لكن القصف لحق بنا هناك أيضاً، فسقط مبنى آخر مقابل المستشفى، وارتفع الغبار حتى أصبحنا عاجزين عن رؤية وجوه بعضنا البعض. تاهت خطواتنا، وارتفعت أصواتنا ننادي أسماء بعضنا وسط دوامة من الخوف والغبار والدخان.

لم أنكر ارتجاف قلبي، ولا الرهبة التي شلت أطرافني، لكن يقيناً واحداً ظلّ يثبتني «لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا».

بعد ساعات من تلك الليلة المروعة، غادرت الضاحية متجهةً إلى بعلبك، على أمل أن أجد هناك ملاذاً هادئاً. لم يمضِ يومان حتى تلقينا إنذاراً يوجّهنا لمغادرة المنزل الذي كنا نقيم فيه، ليلاً، ونحن على عجلة من أمرنا، برفقة جدتي المريضة التي أجرت عملية صحية قبل أيام واضطرت لمغادرة المستشفى قبل موعدها بسبب الحرب وخاصة كون المستشفى الساحل بقلب الضاحية الجنوبية. تلك اللحظة



مساء الأحد وبينما كنا مجتمعين مع أقاربنا وصلنا خبر إطلاق صواريخ من لبنان باتجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة لم نعط الأمر أهمية وخذنا بعدها للنوم، ثم استيقظنا حوالي الساعة الثانية والنصف قبل الفجر لتناول السحور وبينما كنت أشرب الماء سمعت صوت ضربات متتالية. فوراً، وأنا بالبيجامة، لبست معطفي ونزلنا من دون أن نأخذ شيئاً معنا والناس حولنا يركضون، حيث امتلأت الطرقات وعمّ الازدحام المكان مما جعلنا نستغرق حوالي النصف الساعة للخروج من الشارع الذي نقطن فيه.

في تلك الليلة انتظرنا وسط الشارع

دائماً «بدي بيتي، بدي ارجع على بيتي... هيدا الإحساس ما حدا بيقدّر يعبّي، مهما كان المكان مريح».

أنا تزوّجت من جديد، وفي الحرب الماضية انضرب البيت الذي كنت أنوي الانتقال إليه، فاضطرت للبحث على بيت جديد والانتقال إليه، «يعني فعلياً ما كملت سنة ببيتي»

نحن لا نعرف القعود، متعودين دائماً على الحركة والعمل، متعودين أن نتعامل مع الأولاد والكبار والأهل، بحكم عملي كموظفة بقسم النشاطات في مدرسة.

لحدود الساعة السادسة صباحاً داخل السيارات على مشارف الضاحية ونحن نفكر إلى أين سنذهب، ثم انطلقت مع زوجي إلى منزل أهله في (برمانا) بينما توجه أهلي لكورنيش البحر لفترة طويلة حتى عثروا على منزل للايجار في منطقة الحمرا، وانتقلت إليهم.

ولكن كتجربة مررنا بها وما زلنا فيها لن يرتاح الفرد وهو بعيد عن بيته حتى ولو كان بأجمل البيوت، إلا أن الإحساس بالأمان والراحة يبقى ناقصاً، فأنا شخصياً لا أشعر بهما إلا في بيتي. أقول



كل هذه اللحظات تخلد بالذاكرة، وتترك أثراً كبيراً في القلب، خاصة أن الأطفال يرسلوننا دائماً للتعبير عن حُبهم واشتياقهم قائلين: «اشتقنا لكم، أيمتى رح ترجعوا؟»

ومع نهاية كل نهار، نعود منهكين جسدياً وروحياً متمنين «يا ريت تخلص هالحرب ونرجع على حياتنا، على بيوتنا، وعلى أشغالنا»، بالأخص أننا نتلقى دائماً أخباراً موجعةً فأنا شخصياً وصلني أكثر من خبر عن أشخاص أعرفهم منهم من استشهد ومنهم من توفي وأخرين مفقودين، وكل ذلك يتعب نفسية الإنسان لأنهم جزء من حياتنا.

هنا بدأ دورنا في التفكير بماذا نستطيع أن نقدم في ظل هذه الأزمة، صرنا ننزل على المناطق القريبة، نأخذ الإذن للقيام بأنشطة، لتأمين دعم نفسي للأطفال من خلال أنشطة ترفيهية وتعليمية. في البداية، كان الموضوع مرحاً وتسلياً، وكنا نفرغ عن حالنا أيضاً، لكن مع الوقت أصبح الموضوع أعمق من مجرد ترفيه، بدأنا نتعرف على الأطفال، نسمع قصصهم، نعرف من أين نزحوا، ونلمس مقدار إرادتهم القوية، وكيف يؤثرون بنا. على قدر ما كنا نحاول أن نسعدهم، كنا نكتشف قوة نفوسهم وإيمانهم الكبير وثقتهم بالعودة منتصرين إن شاء الله.





الأرض، هنالك أمور كثيرة تبقى محفورة في البال. خلال جولتنا باتجاه القماطية وكيفون وصوفر، حيث كان الطقس بارداً جداً، لدرجة أننا نعبر عنه بأنه «البرد الذي يدخل العظام».

خرجنا الى المدرسة (مكان الإيواء)، فارادت سائقة السيارة ان تصلي، فاستأذنا ان نصلي في غرفة احد النازحين، فصلينا لكني كنت افكر كيف ينام هؤلاء الأطفال. فالغرف كانت واسعة وكلها زجاج، هناك ورق جرايد على الزجاج ليخففوا من البرد من الخارج. وكان هنالك شخص جالس يحاول تدفئة المكان، رغم ذلك الأرض كانت تشعرك بالقشعريرة من البرد، حتى البطانيات

ولكن في اليوم التالي، عندما يتصل الزملاء بي ويقولون: «يلا بدنا ننزل، بدنا نعمل ونساعد»، تزرع كلماتهم الأمل والقوة بداخلي من جديد.

نحن بمسيرتنا التعليمية والتربوية دائماً كنا نقول انه يجب أن نفصل بين حياتنا و حياة الأطفال، بناءً عليه تعدّ هذه الأنشطة بعيداً عن جو الحزن الذي يسكن في قلوبنا فما ذنبهم أن يتحملوا ما نعيشه نحن الكبار. لذلك خلال النشاط الذي لا يتخطى الساعة يكون التركيز على نفسية الأطفال وإعطائهم قوة وطاقة وأمل ليتخطوا هذه الظروف بابتسامة وضحكة.

وعندما يكون الكلام عن العمل على



معلمة رياضة اطفال:

وأثناء التقصي عن أحوال النازحين أعربت المعلمة أماني درويش عن صمودها قائلة: «إن تجربة النزوح ليست مجرد انتقال من مكان إلى آخر، بل هي اقتلاع للجذور وضياع للاستقرار الذي يمثل الركيزة الأساسية لأي عملية تعليمية.

بالنسبة لنا، النزوح كان يعني تحويل مراكز الإيواء أو البيوت المكتظة إلى صفوف دراسية بديلة، حيث يغيب الهدوء وتخفي الخصوصية، أما أكبر العقبات التي واجهتنا في التعليم عن بعد، فتمثلت في الانقطاع المتكرر للكهرباء وضعف

الموجودة تحتهم كانت عبارة عن لوح ثلج. في هذا الوقت قلت في داخلي: «اعان الله الناس التي في الطرقات، الله يعين الناس التي بالمدارس، الله يعين الناس التي لم تجد مأوى بعد» الظروف كانت صعبة وما زالت صعبة، لكن مع الوقت الإنسان يعتاد شيئاً فشيئاً. الا انها حادثة سوف تبقى عالقة في الذاكرة.

واختتمت فرح قائلة:

«اعتذر ان اطلت عليكم ولكن الكلام لا يكفي... كل ما روح لجيب غراض من بيتي ما بطلع شي كيف ممكن إنسان يلم كل حياتو بشنطة؟»



شبكات الإنترنت، ناهيك عن عدم توفر الأجهزة الكافية لدى العائلات النازحة التي باتت هماً الأول هو تأمين لقمة العيش.

لقد واجهنا هذه التحديات بإرادة مرنة؛ فاعتمدنا استراتيجيات التعليم غير المتزامن عبر تسجيل الدروس وإرسالها عبر تطبيقات بسيطة مثل (واتساب) ليتسنى للطلاب مشاهدتها في أي وقت تتوفر فيه الخدمة، كما ركزنا على الدعم النفسي قبل المنهج الدراسي، محولين الأنشطة التعليمية إلى مساحات للتفريغ عن القلق.



عائلاتٍ اقتلعت من جذورها، تحمل ما تبقى من ذاكرتها في حقائب صغيرة، وتُحاول أن تصنع من المؤقت حياة، ومن القليل أمل.

ولا تقف المعاناة عند حدود الاحتياج وفقدان المأوى، بل تتسلل إلى الجسد والنفس معاً. في زوايا المخيمات والمدارس، تزداد الحالات المرضية نتيجة الاكتظاظ وضعف الخدمات اللوجستية.

أما على الصعيد النفسي، فتثقل التجربة واضحٌ في العيون، لكنّه لا يلغي تفاصيل الحياة التي تصر على الاستمرار، أطفالٌ يبتكرون ألعابهم من لا شيء، وضحكاتٌ تخرج رغم ضيق المكان، ووجوهٌ تتقاسم القلق كما تتقاسم الخبز. صدماتٌ حاضرة، نعم، لكنها لا تمنع محاولات يومية لاستعادة شيء من الطمأنينة، ولو للحظاتٍ عابرة.

أما عن المشاعر، فهي مزيج معقد من الألم على ما فقد، والإصرار على أداء المهمة؛ فالمعلم في النزوح يحمل عبء جرحه الشخصي وعبء طمأننة طلابه في آن واحد. إن أداء المهمة التعليمية في هذه الظروف هو فعل مقاومة حقيقي، فكل حرف نعلّمه للطفل في خيمته أو مركز نزوحه هو وعدٌ بأن المستقبل لا يزال ممكناً، وأن المعرفة هي السلاح الوحيد الذي لا يمكن لأحد تهجيده.

الواقع الإنساني والمعيشي

في خيام تُشبه الانتظار، وتحت سماءٍ مثقلة بالخذلان، تتكشف ملامح واقع إنسانيّ يضج بالصبر ويئنّ من القسوة. هنا، لا يُقاس الزمن بالساعات، بل بعدد الليالي الباردة التي تمرّ دون دفء، وبعدد الوجبات التي تُختصر كي تكفي الجميع.







خطوات الحل :
 • يجب أن تبدأ بالمجهول X
 • يجب أن يبدأ الشرط الثاني بما انتهى به الشرط السابق



وفي تفاصيل العيش، يظهر التحدي في أبسط الأمور: ماء يُقتصد في استخدامه، وطعامٌ يُوزع بعناية، ومساحاتٌ ضيقة تتحوّل إلى بيوت مؤقتة تنبض بالحياة.

في مشهد النزوح، لا تختصر الحكاية بفقدان المأوى، بل تمتدّ إلى يوميّات دقيقة يُحاول فيها إعادة تشكيل الحياة. وبين قسوة الواقع وتقلباته، تنسج هذه التفاصيل صورة صامته لقدرة الإنسان على التكيف، حيث يتحوّل الاحتمال نفسه إلى شكل من أشكال البقاء، ويغدو الاستمرار، رغم كل شيء، حكاية تُروى دون كلمات.

جيلٌ على هامش التعلّم

وفي القطاع التعليمي، تتسع الفجوة أكثر فأكثر، إذ يقف عددٌ كبير من الأطفال عاجزين عن متابعة تعليمهم، بعدما تحوّلت الأولويات إلى تأمين البقاء لا تحصيل المعرفة.

صفوفٌ غائبة، وكتبٌ مؤجلة، ومسيرة دراسية انقطعت فجأة دون ضمان للعودة. حتى الأساتذة، الذين يحاولون إبقاء شعلة التعليم حيّة، يواجهون واقعاً لا يرحم؛ فلا مكان هادئ يتيح لهم تسجيل دروسهم أو إيصالها، ولا بيئة مستقرة تساعد على الاستمرار.



مدير مكتب السيد السيستاني دام ظله في لبنان أثناء جولة تفقدية في مراكز النازحين





وقد أعربت إيمي بوب، المديرة العامة للمنظمة الدولية للهجرة (IOM) عن قلقها البالغ في استمرار أزمة النزوح، قائلة إن المؤشرات «مقلقة جداً» قد تؤدي لاستمرارها لفترة طويلة.

وأشارت بوب إلى أن مستوى الدمار، خاصة في مناطق الجنوب التي تُسوى بالكامل بالأرض»، يعني أنه حتى لو توقفت الحرب فجراً، فإن إعادة الإعمار ستحتاج إلى وقت طويل وموارد هائلة.

في خضم هذا المشهد القاسي، لا تختصر حكاية النزوح بخسارة بيت أو تغيير حياة، إنما هي اختبار يومي لصلاية الإنسان وقدرته على النهوض رغم كل الانكسارات. بين خوف لا يغيب وأمل لا يموت يكتب النازحون قصصاً من الصبر والإرادة حيث يتحول البقاء إلى نصرٍ يصنعه المستضعفون.

في هذا المشهد، يبدو التعليم وكأنه يُزاح جانباً، لكنه لا يغيب تماماً، بل يبقى حاضراً في محاولات متفرقة، وفي إصرار خافت على أن لا ينقطع الطريق نحو المعرفة، مهما طال التعثر فأطفالهم يتمسكون بحروفهم الأولى كأنها خيط نجاة.

التحديات الاجتماعية والسياسية

في ظل محدودية إمكانيات الدولة، وسط هذا الواقع المثلث، تبرز المبادرات الفردية كمساحات صغيرة من الضوء، أفراد يبادرون بما يملكون، يقدمون دعماً بسيطاً لكنه عميق الأثر، من توزيع مساعدات متواضعة إلى تنظيم دروس أو أنشطة للأطفال. هي محاولات لا تُغيّر المشهد بالكامل، لكنها تُخفف حدته، وتزرع في التفاصيل اليومية شيئاً من التضامن، حيث يتحوّل الفعل الصغير إلى فرق حقيقي يُشعر الآخرين بأنهم ليسوا وحدهم.



«وسام شوكت» أصالة الحرف، وفلسفة
التجريد، وهندسة المعنى

من ذاكرة النخيل وبوح القصب الأول.. باحثاً عن السراكامن في تجاويف التكوين البصري..

بقلم: رحيم رزاق الجبوري

تمثل تجربة الفنان والخطاط والمصمم العراقي وسام شوكت إحدى
أنضج وأهم المحطات الإبداعية في مسيرة الحرف العربي الحديث.

سهيل، الذي لم يكن مجرد معلم، بل كان «عرباً» حقيقياً لموهبته؛ حيث يستذكر شوكت حادثة شكلت وعيه الفني المبكر حين كان طالباً في الصف السادس الابتدائي، إذ كان أستاذه يعلق لوحةً بخطه في غرفة المعلمين تحمل قول الإمام علي (ع): «لا تفسروا أولادكم على أدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم». وحين رأى الأستاذ تميز تلميذه الصغير، طلب منه أن يُعيد كتابة هذه اللوحة بخط الثلث ليعلقها مكان لوحته الأصلية! هذا الاعتراف المبكر منح شوكت ثقة هائلة وجعله يُدرك

انطلقت رحلته من عصامية دؤوبة في دراسة القواعد الكلاسيكية، مستنداً إلى إرث ثقيل وتأثر عميق بعابرة الحرف؛ فمن مهد انطلاقته في العراق تشرب أصول المدرسة العراقية ورواها أمثال هاشم البغدادي، وعبد الكريم الرمضان، والعملاق يوسف ذنون، وصولاً إلى احتكاكه بكبار الخطاطين العراقيين كعباس البغدادي ومحمد سعيد الصكار، وبدعم معرفي حاسم من الخطاط والمقتني عبد الرضا القرملي. وفي قلب هذه المسيرة، يبرز اسم أستاذه محمد رضا



فنيًا، تفتني أعماله كبرى المتاحف العالمية. في هذا الحوار، مع «مجلة النجم الأشرف» نبحر في فلسفة وسام شوكت التي جعلت من الحرف كائنًا حيًا يجمع بين انضباط الهندسة وحرية التشكيل.

**نبدأ من نقطة التكوين الأولى..
البصرة، الثمانينيات، وأجواء الحرب.
كيف استطاع طفل في العاشرة أن يجد
ملاذه في «سكون» الخط العربي وسط
ضجيج المدافع؟**

البصرة لم تكن مجرد مدينة، بل كانت مختبرًا بصريًا لروح الفنان. في عام ١٩٨٤، وفي ذروة القلق العام، كان الخط العربي هو «الملاذ الآمن». أتذكر تمامًا، معلمي الأول، الراحل محمد رضا سهيل،

منذ الصغر أن الحرف بصمة وإضافة، وليس مجرد تقليد. هذا التأسيس المعرفي والوجداني، معطوفًا على انفتاحه لاحقًا على المدرسة التركية العثمانية، مكنه من صياغة هوية فنية فريدة توازن بين صرامة التراث ورحابة التجريد المعاصر. لقد تحول شوكت من فنان حصد أرفع الجوائز الدولية، إلى سفير عالمي للحرف في الغرب، لا سيما بعد معرضه الفردي في نيويورك عام ٢٠١١. وفي عام ٢٠١٥، سجل منعطفًا تاريخيًا بتأسيس لغته البصرية الخاصة «الأشكال الخطية» (Calligraforms)، وصولاً إلى فلسفة (Calligraformism) عام ٢٠٢٤. يبرز شوكت اليوم كمرجع دولي في التصميم والهوية البصرية، ومستشارًا

درست الهندسة المدنية وتخرجت منها، لكنك اخترت مساراً مختلفاً تماماً. هل تعتقد أن «العقل الهندسي» ساعدك في فهم بنية الخط العربي، أم كان عائقاً أمام حرية الفنان؟

على العكس تماماً، الهندسة هي «العمود الفقري» لعملتي الفني. الخط العربي في جوهره هو «هندسة روحانية» كما وصفه الأقدمون. دراستي للهندسة علمتني قيمة الكتلة، الفراغ، التوازن، والمنظور. حين أنظر

حين خطُّ على اللوح أربعة حروف بخط الرقعة. كانت تلك اللحظة هي «الانفجار العظيم» في عالمي الصغير. لم تكن هناك أدوات متوفرة، فكنا نذهب إلى ضفاف الأنهار لنأتي بجريد النخل اليابس، نبريه بأيدينا ونصنع منه أقلاماً. هذا الاحتكاك المباشر مع خامات الطبيعة خلق بيني وبين الحرف علاقة «عضوية» وليست مجرد علاقة تعلم. لقد تعلمت أن الحرف يُستخرج من الأرض كما يُستخرج من الروح.



إلى حرف «الألف» أو «السين»، أنا لا أراها مجرد حروف لغوية، بل أراها وحدات معمارية. الهندسة منحتني الانضباط في القواعد الكلاسيكية، ولكنها أيضاً أعطتني الأدوات الذهنية لـ«تفكيك» هذه القواعد وإعادة تركيبها في قوالب حديثة. أنا أهندس اللوحة قبل أن أخطّها.



التمرد في الفن ليس غاية في حد ذاته، بل هو نتيجة طبيعية للبحث عن «الذات». لسنوات طويلة، كنت «خادمًا مطيعًا» للقواعد العثمانية والعراقية الكلاسيكية، وحققت فيها جوائز دولية. لكنني وصلت لمرحلة سألت فيها نفسي: هل دوري هو إعادة إنتاج ما فعله الأقدمون قبل ٥٠٠ عام؟ هنا بدأ «التمرد الجميل». قررت أن أتوقف عن المشاركة في المسابقات التقليدية منذ عام ٢٠٠٧ لأنني شعرت أن لجان التحكيم تضع سقفًا لطموحي. التمرد بالنسبة لي هو أن أحترم الجذور، ولكن أرفض أن أعيش في ظلها للأبد. أنا أتمرد لأبتكر، لا لأهدم.



يُطلق عليك في الأوساط الفنية لقب «المتنرد». هل ترى في هذا اللقب إنصافًا لتجربتك، أم أنه اختزال لمحاولاتك في التجديد؟

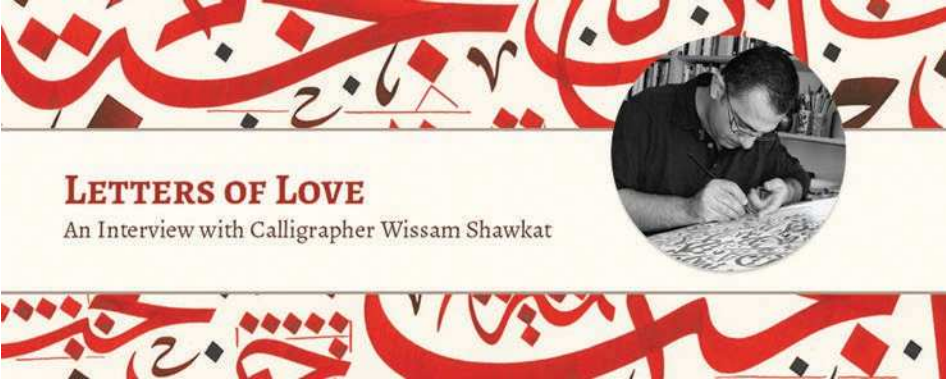


دون الحاجة لقراءته؟ مشروعى يقوم على تجريد الحرف وتحويله إلى «شكل بصري محض». الحرف هنا يصبح بطلاً في مساحة اللوحة، يتفاعل مع الألوان والمساحات كأى عمل فني تجريدي عالمي. الفرق بينه وبين «الحروفية» الشائعة هو أن «الكاليفرافومز» ينبع من فهم عميق وجذري لقواعد الخط الكلاسيكي؛ أنا لا أرسم حروفاً عشوائية، بل أبني أشكالاً ذات مرجعية خطية صارمة لكن برؤية معاصرة تماماً.

أسست لغة بصرية خاصة عرفت بـ«Calligraforms» أو «الأشكال الخطية». ما هي الفلسفة الكامنة وراء هذا المصطلح؟ وكيف يختلف عن «الحروفية» التقليدية؟

«الكاليفرافومز» هي رحلة لتحرير الحرف من عبودية النص. تاريخياً، كان الحرف العربي دائماً تابعاً للكلمة، والكلمة تابعة للمعنى (ديني، أدبي، أو حكمي). سؤالى كان: هل يمكن للحرف العربي أن يمتلك قيمة جمالية بحد ذاته





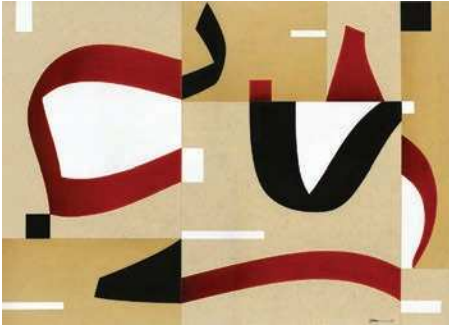
LETTERS OF LOVE

An Interview with Calligrapher Wissam Shawkat



معرضك (Letters of Love) في
نيويورك عام ٢٠١١ كان منعظاً
هاماً. كيف استقبل الجمهور الغربي
فنك؟ وهل تغلبت «جمالية الشكل» على
«عائق اللغة»؟

نيويورك كانت الاختبار الحقيقي
لعالمية الحرف. هناك، الجمهور لا يقرأ
العربية، لذا كان تركيزهم منصّباً
بالكامل على «التكوين». دُهِلت من
قدرتهم على التفاعل مع انحناءات الحرف
وسكون الفراغ بنفس الطريقة التي
يتفاعلون بها مع لوحات «كاندينسكي»





أو «موندريان». هذا أكد لي أن الحرف العربي يمتلك «شفرة جمالية عالمية». نحن لا نحتاج لترجمة المعنى اللغوي لكي يفهم الغربي جمال الحرف؛ فالجمال لغة قائمة بذاتها.





هل تشعر أن الحالة المزاجية أو الوجودية للفنان تنعكس على انسيابية القلم؟ وكيف تميز عملاً «مشغولاً بالروح» عن عمل «مشغول بالآلة»؟

الخط هو «هندسة الروح». عندما أكون في حالة صفاء، يخرج الحرف ليئلاً، مسترسلاً، وكأنه يتنفس. وعندما أكون في حالة قلق، تظهر حدة الزوايا وقوة الضغط على القلم. الفرق بين الفنان والحرفي هو «النبض». الحرفي قد يخرج حروفاً كاملة المقاييس لكنها «باردة» وميتة. أما الفنان، فيضع قلقه، حبه، وغرخته في كل مدّة قلم. اليوم، مع دخول

في معرضك الأخير (Calligraformism) عام ٢٠٢٤، نلاحظ ميلاً أكبر نحو التبسيط اللوني والتركيز على السواد والبياض. لماذا هذا التقشف البصري؟

الأبيض والأسود هما جوهر الخط العربي (المداد والقرطاس). العودة إليهما هي عودة للأصل، ولكن بروح الحداثة. في «الأشكال الخطية» الأخيرة، أردت أن أثبت أن القوة تكمن في «الاختزال». حين تغيب الألوان الصارخة، يبرز «التوتر البصري» بين الحرف والفراغ. البساطة هي أعلى درجات التعقيد، والوصول إلى لوحة متوازنة باستخدام عنصرين فقط هو التحدي الأكبر لأي فنان.



خطاطون





كيف ترى واقع تعليم الخط العربي اليوم؟ وهل تكفي الأكاديميات لتخريج «فنانين» أم أنها تخرج «خطاطين» فقط؟

للأسف، التعليم الأكاديمي للخط في العالم العربي ما زال قاصراً. هو يركز على «المهارة التقنية» ويغفل «الثقافة البصرية». نحن نحتاج لخطاط يقرأ في الفلسفة، يدرس تاريخ الفن العالمي، ويفهم لغة التصميم الحديث. الخط ليس مجرد «كتابة»، هو «فكر بصري». لذا، أرى أن المستقبل يكمن في دمج نظام «الإجازة» التقليدي الذي يضمن رصانة القاعدة، مع المنهج الفني الحديث الذي يفتح آفاق الإبداع.

الذكاء الاصطناعي، تزداد قيمة «اللمسة البشرية»؛ فالآلة لا يمكنها أن تتردد أو تخطئ خطأ جميلاً، وهذا «الخطأ الإنساني» المحكوم بالوعي الجمالي هو ما يجعل اللوحة حية.

وصفت «الكمال» في الفن بأنه وهم. هل يعني هذا أن وسام شوكت لم يصل بعد للوحة التي يحلم بها؟

بالتأكيد. اليوم الذي يشعر فيه الفنان أنه وصل للكمال هو يوم موته فنياً. الفن هو رحلة بحث مستمرة. كل معرض أقيمه هو «خلاصة» لمرحلة، ولكنه يفتح أبواباً لأسئلة جديدة. لوحة أحلامي هي التي لم أرسمها بعد؛ هي تلك التي تختصر كل فلسفتي في ضربة قلم واحدة لا تحتاج لتفسير.



وباحث ومستشار فني، وسفير ثقافي للحرف العربي في المحافل العالمية)، حيث بدأ رحلته مع الحرف العربي في البصرة عام ١٩٨٤ كفنان عصامي تعمق في دراسة المدارس الكلاسيكية (العراقية والعثمانية)، ثم صقلت دراسته للهندسة المدنية عام ١٩٩٦ رؤيته البصرية قبل انتقاله إلى دبي عام ٢٠٠٢، ومنها انطلق بمشروعه العالمي الذي توج بابتكار «خط الوسام» وتأسيس أسلوب «الكاليفارمز» (Calligraforms) عام ٢٠١٥؛ وهو نهج فلسفي يحرر الحرف من النص ليحوّله إلى شكل تجريدي هندسي، ولديه معارض فنية عديدة منها معرض (Letters of Love) في نيويورك عام ٢٠١١، ومعرض (Monumental) (11/11) في دبي عام ٢٠١٥، ومعرض



ما هي رسالتك للشباب الذين يستهويهم «الذكاء الاصطناعي» في التصميم والخط؟

استخدموا التقنية كخادم، ولا تسمحوا لها بأن تكون سيّداً. الذكاء الاصطناعي يمكنه إنتاج آلاف الصور في ثوانٍ، لكنه لا يمكنه بناء «تاريخ شخصي» أو «تجربة شعورية». تمسكوا بالورق والقلم؛ فالملمس والرائحة وصوت القصب على الورق هي طقوس مقدسة تمنح الفنان توازنه النفسي قبل الفني.

كيف تود أن يتذكرك الناس بعد مئة عام من الآن؟

أود أن يذكرني كـ«شخص أحب الحرف بصدق» وحاول أن يمنحه الحرية التي يستحقها. لا أريد أن أكون مجرد اسم في قائمة الخطاطين التقليديين، بل أطمح أن يُنظر إلى أعمالي كـ«تحول» ساهم في جعل الخط العربي لغة تشكيلية معاصرة، قادرة على العيش في متاحف المستقبل جنباً إلى جنب مع أعظم الفنون العالمية.

سيرة الضوء والحبر

من الجدير بالذكر أن الفنان وسام شوكت المولود في مدينة البصرة عام ١٩٧٤، هو (خطاط كلاسيكي، ومهندس مدني، وفنان تشكيلي تجريدي، ومصمم هوية بصرية، ومبتكر لخط «الوسام»)،



عضواً في لجنة تحكيم في محافل دولية مثل (معرض دبي الدولي للخط، وملتقى الشارقة للخط)، وتعمل أعماله مقتنيات فنية في متاحف عالمية ومجموعات خاصة في الشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة، ويواصل شوكت مسيرته كمستشار للهوية البصرية لكبرى المؤسسات العالمية ومحاضر زائر في الجامعات الدولية، مكرساً الحرف العربي كأداة تشكيلية معاصرة.

(Inside/Outside) في دبي عام ٢٠١٧، ومعرض (Letters of Love II) في دبي عام ٢٠٢٢، ومعرض (Black & White) في دبي عام ٢٠٢٣، وصولاً إلى معرض (Calligraformism) في دبي عام ٢٠٢٤، وعلى صعيد الجوائز والتقدير الدولي فهو فائز بعدة جوائز في مسابقات الخط الدولية بتركيا (مركز إرسিকা)، وحائز على ٥ جوائز رئيسية في «جائزة البردة» الدولية بالإمارات، كما عمل



رحلة فريزر إلى بغداد في ١٨٣٤

المهندس الاستشاري تحسين عمارة

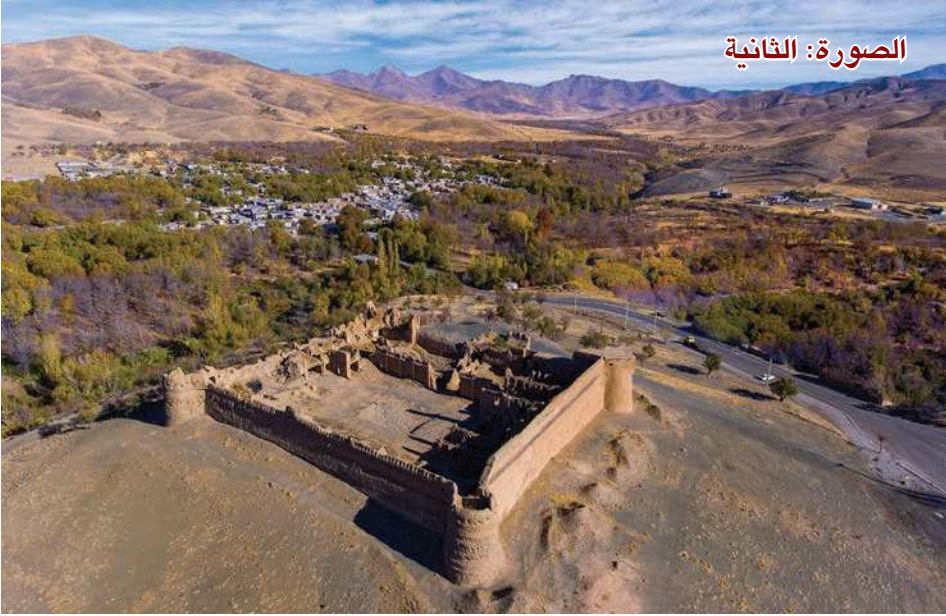
أما الرسائل التي تحوي الرحلة، من الرسالة السادسة إلى الرسالة الخامسة عشرة، التي تضمنها الجزء الأول من الرحلة، فلها أهميتها التاريخية لأنها تتحدث عن العراق بعد القضاء على باشوات المماليك.



الصورة: الأولى

ذكر لونكريك مؤلف كتاب أربعة قرون من تاريخ العراق أنه اعتمد في مراجعته عن العراق ما بين عام ١٥٥٣ و١٩١٤ أسماء لثمان وتسعين رحلة وتقرير ومقالة مسهبة، وكلها تصف العراق وأوجه الحياة فيه.

ومن تلك الرحلات رحلة الإنكليزي جيمس بيلي فريزر. (الصورة الأولى) وهو رجل مهنته الكتابة، وقد قام برحلته في عام ١٨٣٤، وأخذ يكتب الرسائل إلى زوجته، وكانت أول رسالة من تبريز التي سافر إليها من استانبول، وأرخها في ٤ تشرين الأول ١٨٣٤، فيتطرق في رسائله الخمس الأولى إلى وصف الحالة في تبريز وخاصة منطقة أردلان. (الصورة الثانية)



طلبت من الباشا زيارة سهل شهرزور الذي لم يصدر منه أي اعتراض سوى بعض الملاحظات بأن لا توجد فيه غير التلال الكبيرة. (الصورة الرابعة)، ويبدو ان فريزر كان له علم بوجود الأثار فيه والتي اكتشفت فيما بعد. (الصورة الخامسة)

غادر السلিমانيه وكتب رسالة إلى زوجته من قرية زالة التي تقع اليوم في

وفي رسالة له يصف السلیمانيه وهو في طريقه إلى بغداد، ويذكر زيارته للباشا ويتحدث عن باشوية السلیمانيه الصغيره التي كانت فريسه لعدة نكبات نتيجة الصراعات العائليه والحرب الناشبه بين أخوين والتي أدت إلى تدخل أجنبي. وقد داهم الطاعون السلیمانيه كما داهم بغداد. وقد أفنى نصف سكان السلیمانيه وهاجر النصف الثاني. (الصورة الثالثه)



الصورة: الخامسة

وواصل سفره إلى بغداد ليصل إلى كفري في ٤ تشرين الثاني عام ١٨٣٤، ويقول وصلناها بعد أن اجتزنا حوالي اثنين وعشرين ميلا من البلاد المقفرة غير المهمة، سوى ان السهول أصبحت أكثر اتساعا. ويصف كفري: وتقع في مدخل

ناحية شيروانة وقلعتها التاريخية التي بناها محمد باشا الجاف (١٨٦٦-١٨٧٤م). وهو يشير إلى التل الذي بنيت عليه القلعة الجديدة في القرن التاسع عشر بينما التل يعود لعصور قديمة (كاشية ساسانية).

(الصورة السادسة / القلعة الحديثة)



الصورة: السادسة

بانها قرية صغيرة. (الصورة الثامنة)،
ثم واصل السير وعبر تلال حميرين.
(الصورة التاسعة)

يقول: وقد انتهى ركوبنا الطويل
الشاق خلال الوهاد الجافة المعقدة، لأننا
الآن تخلصنا من آخر الحدود الصخرية
وأصبحنا في السهل الرسوبي غير
المنقطع الذي يتكون من دجلة والفرات.
فبان في الأفق البعيد خان دلي عباس
والنخيل المحيط بعدة قرى.

ويصف الحقول الزراعية وهو يقترب
من بغداد، ويذكر: في أثناء ركوبنا هذا
اليوم اصطدنا عددا كبيرا من الطيور ولا
سيما من الدراج الأسود والرمادي. كما
لاحظنا من بعيد كثيرا من الغزلان، لكن
الأسراب الكبيرة من الدراج البري التي
مرت بنا كانت من أعظم ما رأيت من هذا



فتحة تنفتح في سلسلة من الجبال الواطئة،
الجرداء بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى.
(الصورة السابعة / كفري عام ١٨٢٧)

تحرك من كفري بعد أن زوده مضيفه
بدليل إلى المرحلة القادمة، ويصف
مخاطر الطريق وذلك لتعرض الطريق
للسلب والنهب، ويصعب فيه اكتشاف
الفاعلين فيه، وبعد مسيرة عشرين ميلا
إلى أن يصل إلى قرية قره تبه ويصفها



الصورة: التاسعة



الباشا كانت مرابطة تجاهها. (الصورة الحادية عشرة / سور بغداد وخذقتها في أوائل القرن التاسع عشر)

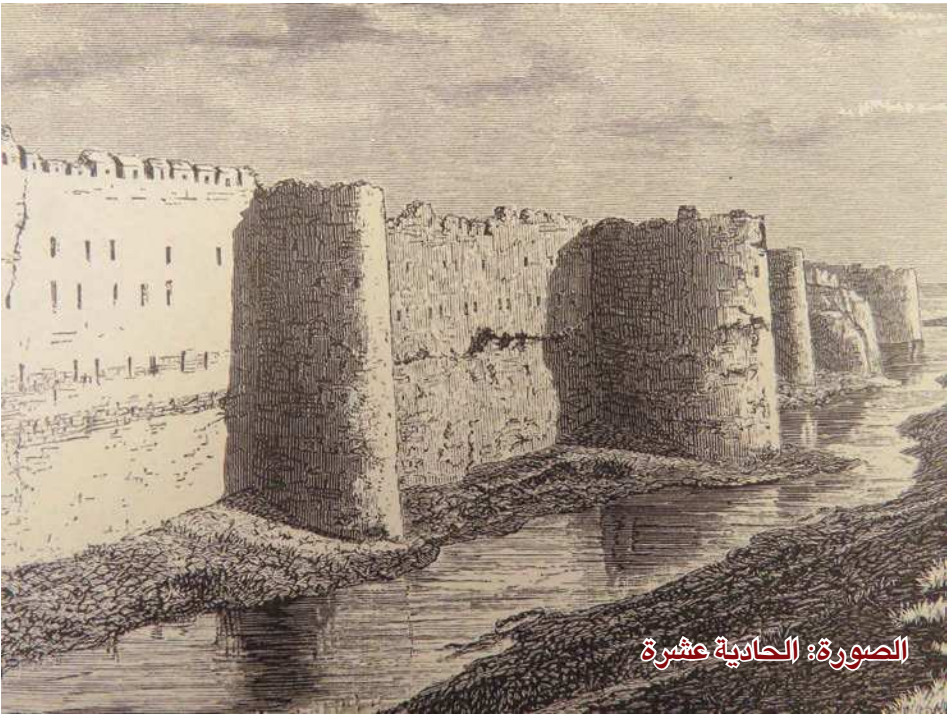
وقد سرنا سيراً أسرع ثم وصلنا إلى الباب الوسطاني من دون مضايقة أو تحرش، وقد حصل في الباب توقف لأن قافلة من القوافل كانت تهتم بالخروج، ولأن موظفي الباشا كانوا يقومون باستيفاء الرسوم والضرائب المطلوبة. (الصورة الثانية عشرة / الباب الوسطاني عشرينات القرن الماضي)

ويصف أزقة بغداد إلى أن يصل دار المقيم البريطاني في ذلك الوقت، ويذكر: أن أول يومين أو ثلاثة من رحلة غير قصيرة فهو يحتاج إلى الراحة، إذ لا يزال هناك الكثير مما يجب أن أخصص الوقت

القبيل اثاره للدهشة والعجب. فكانت هذه الأسراب تأتي كالغمام، على شاكلة الجراد، وتمتد على مد النظر. (الصورة العاشرة)

ويضيف: ومع اننا سرنا سيرا سريعا، فقد مرت علينا فترة متعبة قبل أن ترتفع أسوار المدينة أمام أنظارنا وبارتفاعها تجدد استبداد القلق والريبة بنا. لأننا علمنا ان قبيلة من الأعراب قد نصبت خيامها على مقربة من المدينة، وان جيوش





الصورة: الحادية عشرة



الصورة: الثانية عشرة

وها هي بابل وسلوقية وطاق كسرى
تقع في مواقع قريبة منا. وتغص البلاد
المحيطة بنا كلها بالأشياء المهمة التي
تلفت النظر وتستدعي الاستكشاف،
ولذلك أعدنا أنفسنا للاستفادة من
وقتنا القصير بأحسن وجه، وبدأنا
بجولاتنا.

لمشاهدة المناظر، فها هو دجلة الخالد
يجري تحت شباكنا، ويعج بالزوارق
والأكلاك، ويمتد فوقه جسر من الزوارق
الذي يوصل بين ضفتيه، وترتفع من
حولنا منائر الجوامع وقبابها. (الصورة
الثالثة عشرة / بغداد عام ١٨٤٠، الصورة
الرابعة عشرة / بغداد عام ١٩٠٠)



الصورة: الثالثة عشرة



الصورة: الرابعة عشرة

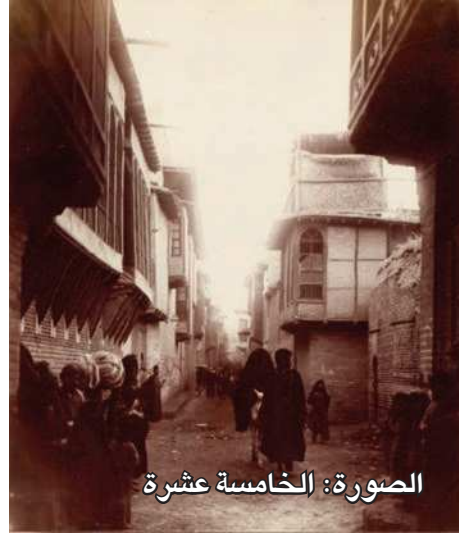
ويستمر بالوصف: وقد كان هناك في الجو العام المتكون من التنوع البارز، وطراز البناء، والملابس الغربية، اختلاط الخضرة، وخاصة سعف النخيل. ولم تكن النظرة الأولى التي ألقيتها على دجلة تدل على ما كنت أتوقعه، أما جبهة البلد المطلة على النهر فقد كان عجبي فيها مفعما بالبهجة والسرور، ويوجد قريب من الجسر - وهو نفس موقع جسر الشهداء الحالي - جامع جميل بقبابه ومنايره، وهو شيء يبعث في النفس السرور والارتياح.

(الصورة السادسة عشرة)

وليس الجانب الأيمن أو الغربي (ويقصد جانب الكرخ) من النهر على مثل هذا الجمال في طراز الأبنية وامتدادها، لكن بساتينه الوسيعة ونخيله المتشابكة المختلطة بالأبنية تسبغ عليه منظرًا مبهجًا إذا ما نظر إليه من الجانب الآخر المكتظ بالسكان.

يصف شوارع بغداد، وهي في الغالب عبارة عن أزقة ضيقة غير مبلطة، فليست الشبابيك المطلة عليها كثيرة فقط بل توجد أيضا شرفات مطلة، أو شبابيك بارزة (ويقصد الشناشيل) تخيم على الشارع فتسمح بدخول الضوء إلى الغرف.

(الصورة الخامسة عشرة / زقاق بداية القرن الماضي)



الصورة: الخامسة عشرة



الصورة: السادسة عشرة

كتابات
في الميزان



الموقع الذي يجمع الأقلام العربية



كتابات
في الميزان



الصفحة الرئيسية

أخبار وتقارير

المقالات

قضية رأي عام

ثقافات

إصدارات

الموسوعة

كتابات يومية شاملة مستقلة

أرسل مقالك لنا

للإطلاع على التفاصيل وحجز مدونتك الخاصة : اضغط هنا



مضى مشروعية الأعراسيات على دستورية وجود خبراء الفقه الإسلامي في تشكيلة مشروع قانون المحكمة الإعادة للملها
تعد التي مشروع قانون المحكمة التأسيسية العليا المرسل من السكيتين السابقة والمالية والقوة فزارة
الاهي وثانية

لجنة الإرشاد والدعم في العتقة ..
أعلن مسؤول
2021 / 03 / 05

التي نقل البهايا فرئيسس تقادر
جهة إلى العراق
عوية الاعتراضات على
إد خبراء الفقه الإسلامي
نوع قانون ل ... : د
شعاق الفياض ينهى
العلمية الشيخ محمد
الدينية العليا من
فرحان

أخبار وتقارير
الكتاب :
صفحة الكاتب
د . محمد شيا
للإطلاع على



المطبخ بين القداسة الشفهية والخوارزميات الرقمية كيف أعاد جيل زد هندسة المذاق العربي؟

بقلم: أوس ستار الغانمي

في ركن قصي من ذاكرة كل منا،
ثمة رائحة «تقلية» ثوم، أو بخار
ينبعث من قدر طيني، أو صوت
ملعقة خشبية تداعب جدار وعاء
نحاسي. كان المطبخ، لقرون طويلة،
«محراباً» مغلقاً، تُمارس فيه طقوس
يومية مقدسة، محكومة بـ«النفس»
الذي لا يُفسر، وبأسرار الجدات
التي لا تُدون إلا في القلوب. لم يكن
الطعام مجرد وقود بيولوجي، بل
كان «هوية» تتشكل في هدوء بعيداً
عن صخب العالم.





اليوم، انكسرت جدران هذا المحراب. المطبخ الذي كان «خاصاً» بامتيان، أصبح «عاماً» بامتيان. «جيل زد»، ذلك الجيل الذي ولد والشاشة في يده، لم يكتفِ بدخول المطبخ، بل أعاد تعريفه جذرياً. لقد انتقلنا من عصر «الوصفة الموروثة» التي تُنقل بالهمس من الأم لابنتها، إلى عصر «التريند العابر للقارات» الذي تفرضه خوارزمية



و«نظرة العين». هذا النمط خلق ما نسميه «تفرداً ثقافياً»؛ فكل بيت له طعمه الخاص، وكل أم لها «شيفرتها» الجينية في الطبخ التي لا يمكن استنساخها. كان الطعام هنا «علاقة» وليس «نتيجة».

٢- عصر أبلة نظيرة والمأسسة العلمية:

مع منتصف القرن العشرين، بدأت مرحلة «مأسسة المطبخ». ظهرت كتب الطبخ الموسوعية، مثل كتاب «أبلة نظيرة» في مصر، والذي كان بمثابة «دستور» للعروس الجديدة. هنا بدأ المطبخ يتحول من «فطرة» إلى «علم». دخلت المقادير المحددة (كوب، ملعقة، جرام) إلى البيوت العربية. لكن، وحتى في هذه المرحلة، ظل المطبخ حكراً على العائلة، وظلت الوصفة تتطلب وقتاً طويلاً وجهداً بدنياً، وكان الهدف هو «إشباع الأسرة» وتحقيق «الرضا المنزلي».

٣- ثورة الفضائيات والشيف النجم:

في التسعينيات، حدث التحول الكبير الأول بظهور القنوات الفضائية. خرج الشيف من كواليس المطاعم الكبرى إلى شاشات التلفزيون. أصبح «الشيف» نجماً جماهيرياً (مثل الشيف رمزي، أو أسامة السيد). هنا بدأ المطبخ يتحول إلى «فرجة». لكن المشاهد كان لا يزال «متلقياً سلبياً»؛ يشاهد، يدون الوصفة في دفتره، ثم يحاول تقليدها في منزله. كانت المسافة بين «الشاشة» و«المطبخ الحقيقي» لا تزال قائمة.

صينية المنشأ (تيك توك). فما الذي حدث ل«هيبة» المطبخ التقليدي؟ وكيف تحولت «الطبخة» من فعل محبة عائلي إلى «محتوى بصري» يُقاس بـ«اللايكات» و«الشير»؟

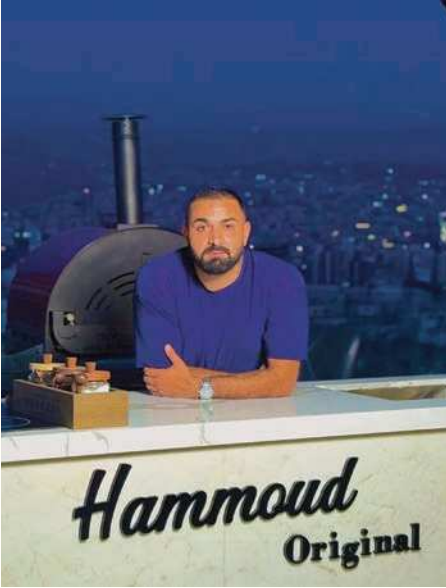
أنثروبولوجيا المطبخ

لفهم حجم «الغزو» الرقمي الحالي، يجب أن نعود للوراء قليلاً لنفهم كيف كانت المعرفة الغذائية تنتقل قبل عصر «الأيلاف البصرية».

١- الذاكرة الشفهية والبركة: في النصف

الأول من القرن العشرين، كان المطبخ العربي يعتمد على «التلقين». المعرفة كانت «شفهية» و«حسية». لم تكن هناك موازين غرامية أو «تايمر» رقمي. كانت القياسات تُؤخذ بـ«قبضة اليد»، و«رشة الملح»،





الطعام أصبح لغة عالمية جديدة. الشاب في البصرة أو القاهرة يطبخ «الرامن» الكوري تماماً كما يفعل الشاب في سيول، مستخدماً نفس الأدوات، ومستمتعاً لنفس الموسيقى في خلفية الفيديو.

٣- تحطيم المركزية الأبوية في المطبخ:

في الماضي، كان دخول الرجل للمطبخ (في الثقافة العربية تحديداً) يُنظر إليه كاستثناء أو «مساعدة». جيل زد حطم هذا المفهوم تماماً. «فوود توك» جعل المطبخ مساحة «محايدة جندياً». نرى اليوم مراهقين وشباباً يتصدرون المشهد بمهارات تقطيع وتزيين تفوق المحترفين. لقد انتزعوا المطبخ من «سلطة الأم» ووضعوه تحت «سلطة الخوارزمية».

سيكولوجية جيل زد.. لماذا المطبخ الآن؟

يُخطئ من يظن أن علاقة «جيل زد» بالمطبخ هي مجرد علاقة «هوائية». إنها علاقة «تعويض» و«تمرد».

١- البحث عن الأصالة في عالم افتراضي:

يعيش جيل زد في عالم افتراضي بامتياز؛ صداقات رقمية، عمل عن بعد، تعليم عبر الشاشات. وسط هذا التجريد، وجد هذا الجيل في «المطبخ» الملاذ الحسي الوحيد. الطبخ فعل مادي بامتياز؛ تلمس العجين، تشم الرائحة، وتتذوق النتيجة. لذا، فإن هروبهم لـ«فوود توك» هو محاولة لاستعادة الحواس التي سرقتها الشاشات.

٢- الطعام كأداة بيان اجتماعي:

بالنسبة للشباب من جيل زد، الطعام ليس مجرد وجبة، بل هو «بيان هوية». حين يصور شاب فيديو يحضر فيه «سلطة الخيار» بأسلوب «لوجان» الشهير على تيك توك، هو لا يقول لنا «أنا جائع»، بل يقول «أنا أنتمي لهذا المجتمع الرقمي العالمي».



برنامج تلفزيوني، أصبحت تُضغَط في ٣٠ ثانية. هذا ليس مجرد اختصار للوقت، بل هو «إعادة هندسة» للمعرفة. يتم حذف كل ما هو «ممل» (التنظيف، الانتظار، الغسل) والتركيز فقط على «لحظات الانتصار» (التقطيع المثالي، النضج، التزيين). هذا خلق وهماً لدى جيل زد بأن الطبخ «سهل» و«سريع»، مما شجع الملايين على التجربة.

٣- الجماليات الرديئة المتعمدة:
بخلاف جيل الألفية الذي كان مهووساً بفلتر «إنستغرام» المثالي والإضاءة الاحترافية للأطباق، يميل جيل زد إلى «الواقعية». فيديوهات «فوود توك» الناجحة غالباً ما تُصور بهاتف ذكي، بإضاءة المطبخ العادية، وأحياناً بوجود «فوضى» في الخلفية.

لماذا؟ لأن هذا الجيل يبحث عن «المصادقية الرقمية» هم يتقنون في «شخص يطبخ في شقته الطالبية الضيقة» أكثر مما

فوود توك.. تشريح الثورة البصرية
كيف استطاع تطبيق فيديوهات قصيرة أن يغير ما عجزت عنه كتب الطبخ لقرون؟ السر يكمن في «هندسة الانتباه».

١- جماليات ASMR: المطبخ الذي يُسمع قبل فوود توك، كان الطبخ في التلفزيون يعتمد على «الكلام». الشيف يتحدث ويشرح. في «تيك توك»، الكلام عبء. التركيز انتقل إلى «الأصوات الخام» (ASMR). صوت سكين حادة تخترق حبة فلفل بارد، صوت فقاعات الزيت، صوت «القرمشة» عند أول قضمة. هذه الأصوات تخاطب مراكز اللذة في الدماغ مباشرة، مما يجعل المشاهد يشعر بـ «شبع افتراضي» قبل أن يلمس الطعام.

٢- المونتاج الذري وسرعة الإيقاع:
الوصفة التي كانت تستغرق ٢٠ دقيقة في



إنها حالة من «الفوضى الخلاقة» التي تُعلي من شأن التجربة والمرح على حساب القواعد والتقاليد.

الاقتصاد السياسي للمطبخ الرقمي

هنا نتحول من الجانب الاجتماعي إلى الجانب الصلب: المال والقوة الترويجية. لم يعد «فوود توك» مجرد تسلية، بل هو قطاع اقتصادي ضخم يُعيد تشكيل أسواق الغذاء، التجزئة، وحتى العقارات.

١- تأثير المؤثر على سلاسل التوريد:

أصبح المؤثرون في مجال الطعام يمتلكون قوة تأثير تفوق الحملات الإعلانية لكبرى الشركات. لنتأمل مثلاً صارخاً: ظاهرة «باستا جبنة الفيتا» التي اجتاحت تيك توك في عام ٢٠٢١.

يثقون في شيف يمتلك استوديو تصوير بألاف الدولارات. هذه الجماليات «الريديئة» المتعمدة كسرت حاجز الرهبة بين المشاهد والمطبخ؛ فإذا كان هذا المراهق يستطيع فعلها في مطبخه الفوضوي، فأنا أستطيع أيضاً.

٤- كسر القواعد الأكاديمية للطهي:

في السوشيال ميديا، لا توجد «شرطة للطهي». جيل زد لا يهتم بالقواعد الكلاسيكية الفرنسية لتقطيع الخضار أو ترتيب وضع المكونات. هم يهتمون بـ«النتيجة النهائية» وكيف ستبدو على الشاشة. هذا أدى إلى ظهور ابتكارات (أو ربما جرائم طهي في نظر البعض) مثل «ماك أند تشيز في دقيقة واحدة في الميكروويف»، أو استخدام رقائق البطاطس كطبقة مقرمشة للدجاج المقلية.





شركات الأغذية الذكية أدركت ذلك، وبدأت تصمم منتجاتها لتكون «قابلة للانتشار الفيروسي»، من حيث الشكل، الألوان، أو طريقة التغليف.

٢- تسويق الأجهزة المنزلية بأسلوب لايف ستايل: لم يعد يتم تسويق «المقلاة الهوائية» أو «الخلاط السريع» عبر برامج التسوق التلفزيونية المملة. الآن، يتم دمج هذه الأجهزة في حياة المؤثر اليومية. يرى المراهق مؤثره المفضل يحضر عشاءً

فجأة، وبسبب بضعة فيديوهات حصدت مئات الملايين من المشاهدات، نفدت جبنة الفيتا من الأسواق في فنلندا (بلد المنشأ للتريند)، ثم في الولايات المتحدة وأجزاء من العالم العربي. شركات تصنيع الأجبان لم تكن مستعدة لهذا الطلب المفاجئ الذي خلقته «خوارزمية».

هذا يثبت أن «جيل زد» لا يشاهد فقط، بل «يشترى». هم يحولون المحتوى البصري إلى فعل استهلاكي فوري.



أبرز مثال عالمي هو «MrBeast Burger»، الذي أطلقه أحد أكبر اليوتيوبرز في العالم، واعتمد في البداية كلياً على المطابخ السحابية لتلبية الطلب الهائل. في العالم العربي، نرى تزايداً في هذه الظاهرة، حيث يطلق مؤثرون في مجال الطعام خلطات بهارات خاصة بهم، أو خطوط إنتاج لأدوات طهي، أو حتى «براندات» برجر وسوشي تعتمد كلياً على شهرتهم الرقمية. الطعام هنا لم يعد مجرد وصفة، بل هو «سلعة استثمارية» تُباع عبر الشاشة.

صحيحاً وسريماً في «المقالة الهوائية» في ١٠ دقائق، فيشعر أن اقتناء هذا الجهاز هو تذكرة دخول لهذا الـ«لايف ستايل» السريع والعصري. لقد انتقل التسويق من «شرح الميزات التقنية» إلى «بيع اللحم اليومي».

٣- صعود المطابخ السحابية وعلامات المؤثرين: هذا هو التطور الأجرأ. لم يعد المؤثر يكتفي بالترويج لعلامات تجارية أخرى، بل أصبح هو العلامة التجارية. ظهرت ظاهرة «المطابخ السحابية» (مطابخ للطهي فقط دون صالات طعام، تعتمد على التوصيل) التي تخدم علامات تجارية يمتلكها مؤثرون.

أنه «تسطيح» و«تشويه» للهوية الغذائية. الخوف هنا ليس من التجديد، بل من أن تصبح الأطباق التراثية الأصلية التي تتطلب وقتاً وصبراً (مثل ورق عنب، أو الكسكسي الأصلي، أو المنسف) شيئاً من الماضي لأنها لا تناسب إيقاع تيك توك السريع.

٢- الأصالة المعاد تدويرها: على

المقلب الآخر، هناك تريند مضاد وبقوة. يبدأ بعض صنّاع المحتوى من جيل زد في العودة إلى الجذور، ولكن بـ«ثوب رقمي الجديد». نرى مراقبين يصورون جداتهم وهن يطبخن، أو يحاولون إعادة صنع وصفة قديمة من «دفتر الأم» ولكن باستخدام أدوات حديثة ومونتاج سريع.

هذه ليست عودة حقيقية للماضي، بل هي «نوستالجيا رقمية». هم يستحضرون روح الأصالة ليضيفوا عمقاً على محتواهم، لكنهم يظلون متمسكين بأدوات العصر. إنه صراع مستمر بين الحفاظ على «الجوهر» وتغيير «المظهر» ليناسب الخوارزمية.

٣- استعمار الذائقة: لماذا نأكل جميعاً

نفس الشيء؟

الخطر الأكبر للخوارزمية هو «التنميط». عندما تكتشف خوارزمية تيك توك أن فيديو «الرامن الحار» يحصد مشاهدات عالية، ستقوم باقتراحه على ملايين المستخدمين في الرياض، القاهرة، الدار البيضاء، ونيويورك.

صراع الأصالة والهجين الرقمي.. هل تندثر الموائد التراثية؟

في مراقبة التحولات الثقافية، لا يمكننا إغفال المعضلة الكبرى: ماذا يحدث لهويتنا الغذائية العربية وسط هذا الطوفان الرقمي؟

١- ظاهرة الجلوكال والفيوجن

العشوائى: «جيل زد» هو جيل عالمي، منفتح على ثقافات آسيا (خاصة الكورية بفضل الـ K-Pop والدراما)، وأمريكا، وأوروبا. هذا الانفتاح انعكس على المطبخ بظاهرة نسميها «الجلوكال» تبني أطباق عالمية وتكييفها محلياً، أو دمج مكونات غير متجانسة.

نرى الآن وصفات مثل «كبسة بالتاباسكو»، أو «سوشي بالشاورما»، أو استخدام رقائق التورتيللا لصنع أطباق عربية. في حين يرى البعض في ذلك إبداعاً وتطوراً لغة الطعام، يرى المحافظون الثقافيون



الذين يقلدون هذه الوصفات دون وعي بمخاطرها.

٢- اضطرابات الأكل والهوس بالصورة: يعمل «فوود توك» على محورين متناقضين ولكنهما مؤذيان نفسياً:

المحور الأول: فيديوهات الأكل الشره أو الوصفات الغنية جداً بالسعرات، والتي تشجع على الشراهة.

المحور الثاني: فيديوهات «ماذا أكل في يوم» لمؤثرين يتمتعون بأجساد مثالية، والذين يروجون لنظامات غذائية صارمة جداً (وأحياناً غير صحية).

هذا التناقض المستمر في جدول المستخدم يخلق ضغطاً نفسياً كبيراً على جيل زد المهووس أصلاً بصورة الجسد. قد يؤدي ذلك إما إلى السمنة المفرطة، أو إلى اضطرابات الأكل مثل «الأورثوركسيا» (الهوس المرضي بالأكل الصحي)، أو النهام العصبي.

٣- الكاميرا تكذب: هل الطعام لذيذ حقاً؟

هناك سرٌّ لا يعرفه الكثير من المشاهدين: الطعام المصور في «فوود توك» غالباً ما يكون غير صالح للأكل أو طعمه سيء جداً. يتم استخدام حيل تصويرية (مثل إضافة ألوان اصطناعية، فازلين للمعان، أو حتى استخدام الغراء

النتيجة؟ نجد جيلاً كاملاً يمتلك نفس الذائقة، ويبحث عن نفس المنتجات المستوردة، متجاهلاً المنتجات الموسمية المحلية. هذا ما نسميه «استعمار الذائقة الرقمية»، حيث تفرض بضع شركات تكنولوجية عملاقة ما يجب أن نعتبره «لذيذاً» أو «تريندا»، مما يهدد التنوع البيولوجي والغذائي المحلي.

الجانب المظلم للمائدة الرقمية.. ما وراء الـ«لايك»

يجب أن نخترق الصورة البراقة ونكشف عن التحديات الصحية والنفسية لهذه الظاهرة.

١- هوس الـ(ASMR) والمقاطع الفيروسية: هل يقتل «تيك توك» القيمة الغذائية؟

في فيديوهات «فوود توك»، يتم التركيز على المكونات التي تعطي صوتاً قوياً (القرمشة) أو مظهرًا جذاباً عند الانصهار (الأجبان، الشوكولاتة). هذا يدفع صنّاع المحتوى إلى استخدام كميات مفرطة من الدهون، الأجبان المصنعة، والسكريات، والبهارات الحارة جداً، فقط من أجل «التأثير البصري والسمعي». القيمة الغذائية تصبح ثانوية، والهدف هو صدمة المشاهد وجذبه. هذا يعزز عادات غذائية غير صحية، خاصة بين المراهقين



يحاولون تطبيق الوصفة في منازلهم ويفشلون في الحصول على نفس النتيجة البصرية، مما قد يثبط عزيمتهم عن تعلم الطبخ الحقيقي.

بدلاً من الحليب لتصوير الحبوب) لجعل الطعام يبدو مثاليًا. صنّاع المحتوى يهتمون بـ«اللقطة» وليس بـ«اللحمة». هذا يخلق خيبة أمل لدى المراهقين الذين



الشباب من جيل زد نظارات واقع معزز (AR) أثناء الطبخ. ستظهر له خطوة بخطوة فوق القدر، مع توقيت دقيق، وقياسات فورية للكميات باستخدام تقنيات التعرف على الأشياء. المسافة بين «المشاهدة» و«التطبيق» ستتلاشى تمامًا.

٣- حتمية التوازن: العودة لـ«النفس»؟ في نهاية المطاف، كل «موضة» قوية تخلق رد فعل موازياً. بعد سنوات من الانغماس في المطبخ الرقمي، السريع، والبصري، قد نشهد عودة لـ«الطبخ البطيء» كوسيلة للانفصال عن التكنولوجيا. قد يكتشف جيل زد أن «السر» الذي كان في دفتر أمهاتهم ليس المكونات، بل هو «الوقت»، «الصبر»، و«النفس» (الحب الذي يُوضع في الطعام). المطبخ سيظل ساحة معركة ثقافية وجيلية، لكنه سيظل دائماً المرأة التي تعكس تطورنا كبشر، من عصر النار إلى عصر «البكسل» والذكاء الاصطناعي.

مستقبل المطبخ في عصر الذكاء الاصطناعي
أخيراً، في استشراف المستقبل، إلى أين تتجه هذه الرحلة؟

١- الشيف الافتراضي والذكاء الاصطناعي: نحن على أعتاب مرحلة جديدة. لن تكون «الوصفة» من ابتكار أم، أو شيف، أو حتى خوارزمية تيك توك، بل من ابتكار ذكاء اصطناعي (ChatGPT وأمثاله). تخيل مراهقاً يصور المكونات المتبقية في ثلاجته، ويطلب من تطبيق مدعوم بالذكاء الاصطناعي أن يبتكر له وصفة «فيروسية» بناءً على التريندات الحالية، والمكونات المتاحة، ويفضل أن تكون جاهزة في ٥ دقائق. هذا سيؤدي إلى ابتكار أطعمة جديدة كلياً، لم تخطر على بال بشر، ومصممة خصيصاً للتفوق الرقمي.

٢- الواقع المعزز (AR) والطبخ التفاعلي: في المستقبل القريب، قد يرتدي

مستشفى الكفيل التخصصي

«عناية الكفيل التخصصي»

منظومة طبية متكاملة تنجح في إحتواء

الحالات الحرجة واعادتها للحياة

تحرير: رشا الخالدي



وحدته في تحقيق نجاحات طبية لافتة،
مثبتة كفاءتها كواحدة من أكثر الوحدات
تطوراً وقدرة على التعامل مع الحالات

أكد الدكتور أحمد عبد الله مسؤول
وحدة العناية المركزة في مستشفى
الكفيل التخصصي بكربلاء، استمرار



مراحل حرجة جداً، مبينا ان ما يميز وحدتنا ليس فقط الأجهزة المتطورة، بل الروح القتالية للفريق الطبي والساند، فنحن نعمل كخلية نحل تضم أطباء تخدير وعناية مركزة، وكوادر تمريضية

المعقدة التي تتطلب تدخلاً طبياً فائق الدقة.

وذكر الدكتور احمد، ان الوحدة نجحت في عبور «بر الأمان» مع مئات المرضى الذين وصلت حالاتهم إلى

وأوضح عبد الله، ان المستشفى استثمر بشكل مكثف في جانبين أساسيين وهما، التقنيات الحديثة حيث وفرت أحدث أجهزة المراقبة والتنفس الاصطناعي وأنظمة الدعم الحيوي التي تتيح مراقبة أدق تفاصيل الحالة الفسيولوجية للمريض على مدار الساعة، والجانب الآخر هو التدريب المستمر، فهو يُخضع الكوادر الساندة لبرامج تدريبية تخصصية ومكثفة لمحاكاة الحالات الطارئة، مما جعل الاستجابة الطبية سريعة ومنظمة وتخضع لأعلى المعايير العالمية.

وأضاف عبد الله، قد أصبحت وحدة العناية المركزة في مستشفى الكفيل محط ثقة كبيرة من قبل الأطباء الاختصاص في مختلف المجالات (الجراحة العامة، جراحة القلب، والجملة العصبية، وغيرها)، الذين يطمئنون على استكمال رحلة علاج مرضاهم داخل هذه الوحدة.

ونوه، الدكتور أحمد عبد الله في حديثه، ان رسالتنا في مستشفى الكفيل هي تقديم أفضل خدمة طبية تضاهي المراكز العالمية، بجهود عراقية وخبرات تمتلك العزيمة والإخلاص.



وتقنية متخصصة، حيث يتم اتخاذ القرارات المصيرية في لحظات فارقة، مما ساهم في رفع نسب الشفاء بشكل ملحوظ حتى في الحالات التي كانت تُصنف طبياً بأنها ميؤوس منها.

الاختلال العقلي

يقولون: مسلم عقيل القراغولي

في مجال الهزل والتسلية تضيع الكثير من الحقائق، وفي مجال النفور والضجر ينكمش العلم وينزوي، وتكون النتائج وخيمة لا يلتاع لها ويكتوي بنارها إلا من يمر بالتجربة أو يصاب بمرض أو ينغمس في معالجته بحكم واجبه أو مهنته. وقد ذكرت الهزل والتسلية بقصد وإحاح لأسباب معروفة قد تمر دون التفات لمغزاها وأضرارها.

المساكين التائهين. وإن دلت على شيء فعلى عدم تفهم جمهور كبير من الناس ماذا يجري في عقل المصاب وماذا يفكر به فعلاً، وهذا ما ينطبق على معظم حكايات المختلين عقلياً.

ومن هنا رأيت أن أتناول في هذا المقال قضية المرض العقلي، لتفسيره، ولأبين نظرة الناس إليه، وموقف الأسرة من المريض، لما لهذه النظرة والاتجاه من تأثير حيوي في جهود الأطباء في العلاج والوقاية.

ما هو المرض العقلي؟

يمكن تعريف المرض العقلي بأنه حالة من رد فعل ومجابهة لشدائد الحياة وآلام الذات، فالمرض العقلي هو استجابة غير طبيعية من الفرد تجاه ظروف وشدائد تقع عليه أو تحدث فيه، أو هو «الحل الأنسب» أو «الموقف الملائم» الذي يلجأ إليه المريض تجاه الصعاب ولم يوفق إلى غيره.

ونحن نعرف أن الإنسان السوي المعافى يواجه دائماً مثل هذه الصعاب ويستجيب لها، واستجابته هي «تكيف ناجح» يخلو من

ففي سياق الفكاهة تلجأ صفحات الانترنت ووسائل التواصل، وبعض الناس من صانعي النكات إلى ابتكار قصص أو طرائف بغرض التسلية وإرضاء غرائز الجمهور، لكنها غير واقعية ومن نسج الخيال والتصور وكأنها ممكنة الحدوث، والنكتة التالية تصور ذلك بوضوح:

أن طبيباً أراد أن يتفقد المرضى في أحد ردهات مستشفى الأمراض العقلية، فدخل فوجدهم جميعاً يقفزون فوق أسرّتهم.

فسألهم عن سبب ذلك، فقالوا إنهم يتخيلون أنفسهم حبّات ذرة في قدر يُعدّ للفشار، غير أن الطبيب لاحظ مريضاً واحداً جالساً بهدوء على سريره لا يشاركهم القفز، فظنّه أعقلهم، وسأله: لماذا لا تقفز مثلهم؟ فأجابه المريض: لأنني ملتصق في قاع القدر!

حكايةً طريفةً دون شك، ونكتةً ممتعةً مسلية، أليس كذلك؟

أما أنا فأقول انها حكاية مصنوعة وموضوعة من قبل شخص عاقل لإدخال السرور إلى قلوب الناس على حساب



كيف يفكر المختل عقلياً؟

من المفيد جداً أن نعرف كيف يفكر المريض، ولا أجزم أن الطب قد كشف بجلاء تام التسلسل المنطقي في تفكير المريض، إلا أن الشيء الأكيد هو أن تفكير المريض يستمد أصوله ومادته واتجاهه من تفكير الإنسان العادي، أو بالأحرى من تفكيره هو وحياته قبل مرضه، فلا شيء غريباً وجديداً فيه إلا الأسلوب والصيغة المستحدثة، وليس من العسير تفسير أو فهم الأسلوب الجديد بالرجوع إلى تاريخ حياة المريض وما صادفه من شذائد وعقبات سواء بالتحليل النفسي أو بتسجيل وتدقيق تطور حياته العاطفية وعلاقته مع أفراد أسرته وأقربائه، وبالدراسة النفسية والبحث الاجتماعي يمكن وضع الأعراض الغريبة أو الشاذة في أطرها المناسبة وإيجاد التفسير المقبول لها.

فالمريض بالشك والأوهام والعداوات

أعراض الأمراض العقلية، بينما المريض العقلي يتكيف ويستجيب بشكل وصيغته هي المرض ذاته، لأنه لم يوفّق إلى التكيف الأسلم والأصح. ويرجع سبب عدم التكيف أو سوء التكيف والمرض إلى عوامل كثيرة: بيولوجية - وراثية، ومحيطية - اجتماعية، وثقافية - خارجية.

ولعل من غير الممكن أن نشرح مختلف الأعراض للاضطرابات العقلية، فهي كثيرة ومتشعبة، غير انه لا بأس بأن نركز اهتمامنا على بعض الأعراض التي يراها زائر أي مستشفى للأمراض العقلية.

ونحن في هذا المقال لا نتطرق إلى أولئك الذين ولدوا بطاقة عقلية محدودة، وطاقاتهم العقلية لم تنم النمو الطبيعي، وإنما يشمل المقال أولئك الذين لديهم ضعف عقلي مكتسب، أي الذين كانت لديهم طاقات عقلية عادية ثم، لسبب ما، بدأت أنشطتهم العقلية تفقد الانسجام والترابط.

وظروفه الخارجية، فتجد المريض في حركة دائمة نحو هدف سريعاً ما يتركه ويتجه نحو هدف آخر بدون غاية ظاهرة لنا، وانتقاله من موضوع إلى آخر بغير علاقة بين الموضوعين، أو يكون مرحاً إلى أقصى درجات المرح، ثم ينقلب بدون سبب أو بسبب تافه إلى غضب وهياج عظيمين.

والكآبة أو الغم عندهم هي بعكس التهيج تماماً، فالمرضى بطيء الحركة، يفكر بصعوبة، وهو دائماً حزينٌ كئيبٌ شاك.

والحالة الثالثة وهي الجمود، يكون المريض فيها ليس بالتهيج ولا بالحزين، يجلس في زاوية من زوايا المستشفى بوجه ليس فيه أي تعبير، لا يهتمه أي شيء يجري حوله ولا يشعر به.

وبالإضافة إلى هذه الحالات الثلاث فهناك ظواهر أخرى كالهلوسة والوهم وتسلبُ الفكرة. فالهلوسة إحساس كاذب، كأن يرى المريض أشياء أو يسمع أصواتاً لا وجود لها في الواقع. والوهم ليس إحساساً كاذباً بل اعتقادات كاذبة كاعتقاد المريض بأنه مليونير أو مخترع كبير، وكاعتقاد بعض المرضى بأن هناك مؤامرة تحاك ضدهم لقتلهم أو إيقاع الأذى بهم.

وتسلبُ الفكرة ليس وهماً، فالوهم إيمان بفكرة خاطئة، أما تسلبُ الفكرة فالمرضى يكون على وعي تام بعدم وجود

إنما يشعر بذلك نتيجة سلسلة من تجارب وظروف مرت به فاستجاب لها بطريقة شاذة لا يلجأ إليها غيره من الأسوياء، والذي يشعر انه بدون اسم وشخصية وكيان ربما يتنكر لذاته ويمقتها، أو ربما فقد كل أثر لإرادة وحدود ذاته، والذي يؤمن أن عقله قد ذاب وباطنه خاوي ربما لأنه يرى الآخرين قد طفوا عليه فمحووا كل شيء حيوي فيه، والذي يعتقد انه القوي أو الملك أو القائد الذي يأمر فيطاع وينهى فيستجاب، ربما لان شعوره السابق بالنقص والضالة دفعاه إلى رد فعل شاذ من جنون العظمة، وهكذا، حتى حركات الأيدي والأصابع وتقاسيم الوجه ولمعان العيون هي رموز ودلائل لها مغزى ومنشأ لمن يريد أن يكشف أسرار النفوس قبل السخرية منها.

وأهم ظواهر الاضطراب العقلي

عند المرضى:

١. التهيج.

٢. الغم والكآبة.

٣. الجمود وفقدان الحس.

فالتهيج عند المرضى العقليين لا يختلف عن التهيج عند الأصحاء من حيث المظهر، والغضب كما يقول المثل جنون مؤقت، غير أن التهيج عند المرضى ينقصه السبب الواضح، أنه لا ينسجم مع واقع المريض

من تصرفات المريض ما هو إلا تعبير غير مباشر لعمليات عقلية لا تظهر للمشاهدين من الخارج.

لنفرض أن زيداً من الناس لديه هواية تصوير، فمما لا شك فيه أن وجود هذه الهواية عنده يؤثر في سلوكه وسيل شعوره. فالمنظر التي لا تثير بعض الناس ستلفت انتباهه وتثير فيه الرغبة لالتقاط صورة لها، وإذا وقع نظره على أي خبر أو منشور يتحدث عن التصوير شعر بدافع لقراءته، وإذا جمعتة جلسة مع بعض الأصدقاء فقد يتحين الفرص ليدير دفة الحديث إلى موضوع التصوير.

من هنا نرى أن الهواية كانت سبباً في اتجاه صاحبنا التفكير، وإذا أردنا أن نحلل طبيعة الهواية تحليلاً علمياً، نجد أنها جهاز مكون من آراء مرتبطة مصحوبة بصبغة عاطفية قوية واستعداد للقيام بعمل معين ذي صبغة معينة. هذا الجهاز ذو الصبغة العاطفية يمكننا أن نسميه مركباً، وفي هذا المثال نستطيع أن نسميه مركب التصوير أو المركب الفوتوغرافي.

أو ذلك الشاب الذي أحب حديثاً، فأى فكرة لها علاقة بمن يحب تطفو على شعوره، وأي إشارة قد تكون مرتبطة من قريب أو بعيد بمن يحب تثير فيه الانتباه، وجميع طاقاته الفكرية مجندة لحياكة

ما يبرر الفكرة، ولكنه لا يستطيع التخلص منها، فنرى بعض الناس تتسلط عليهم فكرة أنهم مصابون بالسرطان أو بالسل مثلاً، ومع أن جميع الفحوص والأعراض والدلائل المقتعة تشير إلى عدم وجود ذلك، إلا أن الفكرة تتسلط على صاحبها دائماً، وهو على الرغم من عدم الإيمان بها لا يستطيع دفعها.

إن المظهر العام لهذه الظواهر هو عدم التمييز، وكل ما يستطيع المشاهد أن يستخلصه من حالة أي مريض عقلي هو أن عقل المريض قد فقد القدرة على التفكير إطلاقاً، ولكن دراسة أعمق لهذه الحالات تثبت حقائق تخالف هذا الرأي. فالتعقل عند كثير من المرضى كثيراً ما يكون في حالة جيدة إلا في الذي بدر منه من تصرف مريض. فالمريض الذي يعتقد انه إمبراطور قد يكون قادراً على حل مشكلة حسابية دقيقة يعجز عنها كثير من العقلاء.

وعلى هذا فالعلة للاضطرابات العقلية تكمن في مادة الموضوع لا في قوى التمييز العقلية عامة، والمشاهد العادي يحكم على المريض بعدم التمييز لأنه، أي المشاهد، لا يستطيع أن يرى سلسلة العمليات العقلية التي أدت إلى هذه النتيجة، بل يرى النتيجة فقط، تلك النتيجة التي تظهر وكأنها ظاهرة منعزلة عن كل تحليل منطقي، ولكن ما يظهر

تقوي من الحجج والبراهين ما ينسجم معها، وأما ما يخالفها فيكبت وينكمش.

إن صيغة الحديث وطريقة التفكير أثناء تأثير إحدى المركبات على شعورنا تختلف عن صيغة الحديث وطريقة التفكير المنطقي؛ ففي التفكير المنطقي تكون كل خطوة نتيجة للخطوة السابقة لها، والبراهين يحكم عليها بدون تحيز، وتؤخذ بعين الاعتبار كل نقطة لها علاقة في الحديث سواء أكانت لنا أو علينا.

ولا شك أن تفكيراً منطقيًا خالصاً أصيلاً يكون نادراً نسبياً في حياتنا اليومية، ففي أغلب الأحوال نتأثر بتحيز مركباتنا.

شبكة من الأفكار متركرة بفتاة الأحلام، والعالم الذي حوله ما هو إلا إطار لهذا الحب، فلنسمه إذن «مركب الحب».

فالمركبات إذن أسباب تقرر سلوكنا وتسيطر على شعورنا وحواسنا، والمركبات ليست دائماً نشيطة، ولكنها تصبح كذلك إذا وجدت المثيرات المناسبة، وهذه المثيرات قد تكون خارجية وقد تكون داخلية، بفضل عمليات دقيقة تجري في العقل.

والمركبات قد تكون من جميع الأصناف، وما يصحبها قد يكون ساراً وقد يكون مؤلماً، والمركبات المصحوبة بعواطف قوية يكون تأثيرها على الشعور شديداً وظهورها واضحاً، وهي عندما تدخل إلى الشعور





ولا نستطيع أن نتهم هذا السياسي بأن جهازه المنطقي غير سليم، رغم أن العمليات العقلية له، بهذه النقطة بالذات، غير منطقية، بمعنى أنها لا تتفق وقوانين المنطق، أي ان كل خطوة من خطواته التفكيرية لم تكن نتيجة منطقية للخطوة السابقة، وما ذلك إلا لأن المركب السياسي محاط بدائرة مغلقة لا تسمح للمنطق بالوصول إليها.

ونفهم من هذا انه من غير المجدي مناقشة من يقف وراء مناقشته مركب ما، لأننا نكون قد ناقشنا ظاهر المركب ولم نناقش المركب الدافع لهذه المناقشة، فالدائرة المغلقة المحيطة بالمركب تمنع وصول المنطق إلى داخلها، والنتيجة الوحيدة التي نحصل عليها في هذه الحالة هي إثارة المركب لخلق

خذ مثلاً أي سياسي تابع لحزب معين في أي بلد، وناقشه في رأي حزبه في أي قضية، تجد أن جميع حججه وأفكاره تشمل سلسلة من الآراء تتجه اتجاهاً معيناً في التفكير، ويمكن أن نسمي هذا التحيز بالمركب الحزبي. وهذا المركب يدفعه بغير شعور منه غالباً إلى اتخاذ ميول معينة مستقلة كل الاستقلال عن ذكائه أو شخصيته أو مؤهلاته. وستجد هذا المركب الحزبي يقوّي عنده الحجج والبراهين التي تثبت وجهة نظر حزبه، وفي نفس الوقت يعمل هذا المركب على منعه من تفهم وتقدير قوة البراهين التي تخالف وجهة نظره، وهو على غير وعي بتأثير المركب على آرائه يظن مخلصاً أن البراهين التي يتقدم بها إنما كانت نتيجة لمنطقٍ سليم.

ولشرح هذا نرجع إلى مثال العاشق، لنفرض أن حبيبته كانت امرأة متزوجة من رجل آخر، هنا ينشأ مركبان مختلفان في الاتجاه، أحدهما يتجه نحو محبته للمرأة والتعلق بها والعمل على امتلاكها، والثاني يتجه نحو مراعاة النظم الأخلاقية والخوف من العواقب.

في هذه الحالة لا يمكن التوفيق بين المركبين، ويحدث الصراع، وتظهر النتيجة على شكل شعور بالقلق والتوتر وعدم الاستقرار. ولما كان من غير الممكن استمرار حالة التوتر هذه بلا نهاية، ولما كان من غير الممكن حلها بشكل يرضي المركبين، مركب الحب ومركب الأخلاق، فلا بد من إحدى هذه النتائج الثلاث:

إما أن ينتصر مركب الأخلاق ويكبت مركب الحب.

وإما أن ينتصر مركب الحب ويكبت مركب الأخلاق، ويصبح المرء في هذه الحالة مستهتراً.

وإما أن يكبت الصراع، فلا ينتصر أحد المركبين على الآخر، وكبت الصراع معناه ألا يشعر أحد المركبين بوجود الصراع، ونتيجة ذلك نشاط كل من المركبين في ميدانه دون السماح له بالاتصال بالآخر، فيبقى الحب على اتصاله الأثم بمحبوبته، بينما تبقى أخلاقه ومثله في النواحي

حجج وهمية جديدة، وحتى لو تمكنت من تنفيذ جميع حجج صاحبك حتى تظاهر بالموافقة معك، فسيرجع صاحبك هذا إلى رأيه بمجرد مفارقتك إياه.

لنرجع إلى مثالنا الأول عن هاوي التصوير، إننا لو سألناه لماذا يتصرف هذا التصرف في سلوكه وحديثه وأفكاره، لأجابنا بكل بساطة انه هاوٍ للتصوير، ويلذ له التحدث عن هوايته، فهو على وعي منه، يعرف الدافع إلى سلوكه وتصرفاته.

ولكن هذا الشعور وذلك الوعي بوجود المركب أو المركبات في النفس ليس موجوداً في جميع الأحوال، فقد يؤثر المركب في شعور الفرد وسلوكه دون أن يكون الفرد عالماً به، كما جاء في مثالنا عن السياسي.

ماذا يحدث عند اجتماع مركبين

متناقضين؟

لنفرض أن المركب -لسبب ما- كان ذا طبيعة لا تنسجم مع مجموع مركبات العقل، أو ربما كان ذا طبيعة مؤلمة للغاية، أو ربما كان من النوع الذي يقودنا لأن نسلك سلوكاً لا تقبله مركبات أخرى عندنا كالعادات والتقاليد والأخلاق. في مثل هذه الأحوال يقوم صراع بين هذا المركب والمركبات غير المنسجمة معه، وهنا ينقسم العقل على نفسه.

ولكن كبت هذا المركب وإخفائه في أعماق العقل الباطن لا يعني انه اختفى من حياتنا نهائياً، إن كل ما عملناه هو سجنه في مكان لا يستطيع فيه أن يمارس نشاطه بشكل عادي، ولكنه في الحقيقة لا يعدم وسيلة للوصول إلى الشعور بشكل مقنّع وبطريقة ملتوية.

وكثيراً ما تعبّر المركبات المكبوتة عن نفسها رمزياً، فالمرأة العانس قد تشبع غريزة الأمومة فيها بالعناية الفائقة في تربية القطط أو الكلاب أو الدجاج. والرغبة في تفخيم المرء لنفسه تصطدم عادة بالتقاليد والقوانين الاجتماعية، ولذلك فكثيراً ما نلجأ إلى الرموز للتعبير عنها كطريقة المشي أو الملابس أو الحذلة في الحديث أو ادعاء العلم، ولا شك أن الاهتمام المبالغ فيه بالمظاهر والشكليات من الأمور المألوفة المعبرة عن شعور خفي بالنقص.

ومن ردود الفعل الأخرى الإسقاط:

وهو تعبير للدلالة على رد فعل العقل لمركب مكبوت غير مرغوب فيه، بأن ينسب إلى شخص آخر سواء أكان هذا الآخر حقيقياً أو وهمياً. إن العيب أو النقص قد يؤلف مركباً يتعارض مع شخصية المرء، ووجود هذا العيب قد يؤدي إلى صراع مع النفس، وتفادياً لهذا الصراع تعكس العيوب على أشخاص آخرين. إن لوم

الأخرى قوية سامية، ويصبح كل من المركبين ضمن دائرة مغلقة بالنسبة للآخر، بحيث لا يتأثر أحدهما بمنطق الآخر، ويصبح المرء في هذه الحالة يمارس الحب المحرم دون شعور بتأنيب الضمير، وتبقى تصرفاته الأخلاقية (منفصلاً عنها الحب) خالية من الشعور بأن في تصرفات المركب الآخر ما يشينها.

وفهم هذه الحالة الثالثة، حالة كبت الصراع، يفسر لنا كثيراً من تصرفات بعض الناس التي تبدو غير معقولة، يفسر لنا سلوك التاجر الذي تختلف مقاييس مبادئه في التجارة عن مقاييس مبادئه في حياته الخاصة، ويفسر لنا تصرفات أولئك الناس الذين تختلف مبادئهم وعقائدهم عن تصرفاتهم.

لقد كان كبت الصراع إحدى الحالات الثلاث التي نتوقعها عند قيام صراع بين مركبين، غير أن هذه الحالة -وهي عزل المركبين المتناقضين والسماح لكل منهما بالعمل مستقلاً- لا تيسر في كل وقت، فقد يكون أحد المركبين المتصارعين من القوة بحيث لا يفيد معه مجرد تجاهل أسباب الصراع، وقد يكون العقل حساساً بحيث لا يقنعه التبرير، فتكون النتيجة عندئذ كبت أحد المركبين وترك الثاني ليمارس نشاطه حرّاً.



للحصول على مركز يكسبنا احترام الغير، وعند الفشل في الوصول إلى الهدف عن هذا الطريق الطبيعي نلجأ إلى أحلام اليقظة.

إننا عن طريق أحلام اليقظة لا نستطيع إشباع المركبات عندنا في عالم الحقيقة، ونكتفي بالتخيلات والصور الفكرية للنجاح مما يعطى مركباتنا بعض الإشباع التخيلي، وجميع الأصحاء يشتركون في هذه الظاهرة مع شعورهم بأنها أحلام يقظة وليس لها أي علاقة بالواقع.

فهمنا مما سبق ما يلي:

ان نشاط العقل السليم قد يتأثر إلى حد كبير بالمركبات.

الجيران على أخطاء نحن نرتكبها أسهل من الاعتراف بالخطأ، ودائماً أبدأً الآخرون هم الذين يخطئون، الآخرون هم الذين يكرهوننا ويعملون ضدنا، ليس فينا عيوب ولكن العيوب دائماً في الآخرين.

ماذا لو فشل المركب في عمله؟

النتيجة الطبيعية لنشاط أي مركب هي حدوث عمل، فالمركب طاقة تدفع سلسلة من النشاط تهدف إلى الوصول إلى إشباع الغاية من وجود المركب، وهكذا يعبر المركب عن نفسه بالوصول إلى هدفه. فلإبراز شخصيتنا واكتساب احترام الناس مثلاً يكون نشاط المركب، في حالته الطبيعية، متمثلاً في السعي والعمل الجاد

هذا الموضوع الذي أكتبه. قد يخطر ببالي بعد لحظات موعده قريب يجب الاستعداد له، فعندها تنسحب مؤقتاً الأفكار والآراء التي تشغلني وتحل محلها الفكرة الأخرى المزاحمة، ومع أن الفكرتين قد تتناوبان احتلال ميدان الشعور، إلا أنه ليس هناك انقطاع في سيل الفكر والشعور الجاري. وحتى لو تغلبت الفكرة المزاحمة على الفكرة أو الأفكار الأولى، فالسيل الشعوري لا ينقطع بل يصبغ بصبغة الفكرة الثانية.

ولنفرض أيضاً أن موسيقياً بارعاً يجلس ليعزف على آلهة الموسيقى، فقد يستطيع أثناء عزفه أن يشغل نفسه بأفكار معقدة مختلفة دون أن يؤثر ذلك كثيراً في جودة عزفه. إن عقله في هذه الحالة لا يمثل ميداناً شعورياً منسجماً، بل يقوم في نفس الوقت بعملين عقليين مختلفين كل منهما في حاجة إلى صرف جزء من طاقته الفكرية، مع الملاحظة بأن أحد العاملين، وهو العزف، يجري بشكل شبه أوتوماتيكي نظراً لمهارة العازف.

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع حيث يقوم العقل السليم بنشاطين مختلفي الاتجاه في آن واحد، إلا أن هذه الحالة مؤقتة في الأمثلة جميعها، وهي دائماً خاضعة للإرادة، وشعورنا على علم بذلك، وباستطاعتنا أن نتحكم بها ونرجع أنفسنا

إن الإنسان لا يعي دائماً الأسباب الحقيقية لسلوكه.

قد يظهر تأثير المركب بشكل غير مباشر.

قد نعتقد أن تصرفاتنا ناتجة عن أسباب بينما لا تكون هذه الأسباب في الواقع سوى مبررات.

قد تجد المركبات لها متنفساً في أحلام اليقظة.

إذا كان كل ذلك يجري في العقول السليمة، فلماذا لا نفترض وجود أجهزة مماثلة ذات طبيعة مماثلة مسؤولة عن الأعراض التي نشاهدها عند المصابين بالاضطرابات العقلية؟

بقي مفهوم نفسي واحد، إذا تفهمناه اكتملت الحلقة وسهل علينا أن نتفهم أحوال المرضى وسلوكهم، وهذا المفهوم الأخير هو الانفصال.

إذا تأملنا في أنفسنا، وأردنا أن نرى ما يجري في عقولنا في لحظة من لحظات الشعور أو الوعي، نجد أن هناك سيلاً من الفكر يجري نحو هدف معين، وهذا السيل لا يظهر كأجزاء متفرقة، بل يظهر كوحدة تامة تهدف إلى غاية واحدة.

فأنا الآن وأنا أكتب هذا الموضوع، فميدان شعوري مكون من إحساسات وفكر تهدف إلى غاية واحدة وهي معالجة

ونحن نعلم أنها تخيلات، وأنها موجودة في عقل المريض فقط، وهي جزء من عقله انفصل عن جهاز الشعور العام، ولذا يشعر المريض بأنها أصوات من الخارج.

ومفهوم الانفصال يساعدنا على فهم الحالة العقلية للمريض بالوهم أو الاعتقاد الكاذب. فقد يرى صاحب العقل السليم، أثناء أحلام اليقظة، أو يتخيل أنه زعيم أو مليونير مثلاً، إلا أن السليم هذا يشعر أنها أحلام يقظة، إذ إن الشعور العام المنسجم ما زال هو المسيطر على جميع الأنشطة العقلية ولو كانت تخيلية ترفيهية.

أما في حالة المريض فينفصل هذا الحلم، حلم اليقظة، كنشاط عقلي ويعمل مستقلاً عن مجموعة أنشطة العقل المنسجمة، وعلى هذا فمن غير المجدي

لنشغلها في موضوعنا الرئيسي الأول أو نهمله إهمالاً كاملاً ونشغل بغيره.

ولكن هذه المقدرة في التحكم على اتجاه التفكير معدومة في عقول المرضى، وكأن عقل المريض انقسم نشاطه العقلي إلى أجزاء مستقلة، يعمل كل جزء بغير وعي من الجزء الآخر، ولا يخضع أي جزء منفصل مستقل لمراقبة شخصية المريض العامة، وقد يشعر المريض أحياناً بذلك الجزء المنفصل وبنشاطه، إلا أنه يشعر به كجزء خارجي عنه غريب عن شخصيته، وكأنه فرض نفسه على الشعور فرضاً.

خذ مثلاً المريض الذي يسمع دائماً أصواتاً غريبة تهدده بالعقاب لخطيئة ارتكبها، نحن نعلم أن هذه الأصوات لا تمثل أي حقيقة في العالم الخارجي للمريض،



على حدة مستقلة استقلالاً تاماً عما يجري في الأنشطة الأخرى.

ان الأنشطة العقلية عند فقدانها الانسجام تصبح كفرقة موسيقية، يعزف كل موسيقي على آتة لحنًا مغايرًا للآخر، لو أخذنا كل عازف بآلته كوحدة مستقلة، فقد نرى عزفه صحيحًا، ولكن الفرقة الكاملة في حالة عدم انسجام العازفين وعدم توحيد هدف عزفهم تكون مجموعة أنغامهم مزعجة مؤلمة.

وانفصال جهاز أنشطة أحلام اليقظة العقلية تفسر لنا حالة المريض الذي يفقد كل رغبة في الحياة الواقعية، فلا طموح ولا رغبات ولا أدنى بذل للقيام بأدنى

إقناع المريض الذي يعتقد أنه إمبراطور بأنه مخطئ. يكون المريض على علم ووعي تام باسمه وباسم عائلته وتاريخها، ولكن علمه بشخصيته الحقيقية واعتقاده بأنه إمبراطور، هما جهازان شعوريان يعملان مستقلين كل منهما في دائرة مغلقة تمنع وصول منطق احدهما إلى الآخر.

ربما اعتقد المريض أنه قادر على كل شيء، وانه يحكم العالم بأسره، ولكن ذلك لا يمنعه من أن يتقدم إليك راجياً السماح له بالخروج من المستشفى أو طالباً منك سيارة. وهذا اللغز ينكشف لنا عندما نعلم أن حالة المريض العقلية مصابة بالانفصال الشعوري، فأنشطته العقلية تعمل كل منها



السليم وأنشطة العقل غير السليم، فهناك مقاييس نستطيع أن نفرق بها بينهما: الفرق بينهما بالدرجة لا بالنوع.

فالذي ينسب فشله في العمل إلى سوء الأدوات التي يستعملها أو إلى سوء معاملة رئيسه له نعتبره عاديًا سليم العقل، أما الذي يدعي بأنه ضحية مقاومة عصابة سرية تعمل على اضطهاده فنعتبره مريضًا بوهم الاضطهاد ونحوه إلى المستشفى. في الحالتين كان الادعاء غير صحيح، والمثير النفسي للحالتين واحد، وهو التبرير أو إسقاط اللوم والعيب على الآخرين، غير أن درجة الإثارة في الحالة الثانية أعمق.

لعل أهم مميز للعقليتين، السليمة والمریضة، هو السلوك.

فسلوك العقل المريض يكون غالبًا غير اجتماعي، ونقصد بالسلوك غير الاجتماعي مستوياته الثلاثة: اتهام الخارج، اتهام النفس، والحياد السلبي. وحالة اتهام الخارج المتطرفة قد تؤدي إلى خطر الإيذاء بالغير، وحالة الاتهام الداخلي أو اتهام النفس قد تؤدي إلى الإيذاء بالنفس، والحياد السلبي أو عدم الاهتمام بما يجري في المجتمع قد يؤدي إلى عدم التمكن من المساهمة بقسط من نشاط المجتمع، فيعيش المريض ضمن نفسه ولا يهتم ما يجري حوله بقليل أو كثير.

مجهود. يجلس كل يوم في نفس المكان في المستشفى، منطويًا على نفسه بوجه ليس فيه أي تعبير، يستمع إلى أسوأ الأخبار كما يستمع إلى أحسنها بدون أي اكتراث. قد يظن من يراه أن عقله قد فقد كل نشاطه، إلا أن الدراسة العميقة أثبتت أن عمليات العقل عنده لم تفقد قوتها أو نشاطها، إلا أنها عن طريق الانفصال تحولت إلى الداخل وليس لها أي منفذ يتصل بالخارج. لقد تحول العالم عنده إلى عالم خاص من أحلام اليقظة، منفصلًا عن كل ما عداه، وجميع الحقائق الواقعية في خارج نفسه لا معنى لها ولا لون.

ولو أردنا أن نحلل جميع مظاهر الاضطرابات العقلية لوجدنا أنها لا تخرج عن طبيعة الأنشطة العقلية التي تجري في العقول السليمة، غير أن الأنشطة العقلية في العقل السليم منسجمة كل الانسجام، فلو حدث نشاط مغاير غير منسجم في العقل السليم، وهو يحدث كثيرًا، فتكون الشخصية العامة على وعي بهذا النشاط المغاير وتكون دائمًا مسيطرة عليه. أما في العقول المريضة فالنشاط المغاير غير المنسجم إنما يعمل مستقلًا غير خاضع لسلطة الشخصية العامة.

وأحب أن أنبه هنا إلى أنه يجب أن لا نخاف من تشابه الصفات بين أنشطة العقل



عند المشاهد السطحي فإن عالم المختلين عقلياً هو مجرد فوضى وأعمال مضحكة ومهازل تسلية، أما الدارس المتعمق والطبيب النفساني فيدرك أن عالم الجنون يتضمن التفكير الرمزي ذا المغزى والمعنى، وأن ليس فيه ما يضحك بل ما يدعو للأسى والدرس والعلاج.

ولعل دور الأسرة في المرض العقلي من اخطر واهم العوامل التي تحظى باهتمام الطب النفسي، وتتوزع هذه العوامل ونواحي ارتباطها بالمرض على ما يلي:

١. مسببات المرض.

٢. استمراريته أو إزالته.

٣. على نجاح العلاج أو فشله.

فالصفات الوراثية، ثم التربية والبيئة تتدخل في تهيئة الفرد للمرض النفسي أو في إبرازه، أو في زيادة حدته، فقد نجد الاستعداد لمرض انفصام الشخصية في

لقد أشرنا إلى أن الوهم المرضي هو الاعتقاد الكاذب، ولكن العقول السليمة كثيراً ما تحمل اعتقادات كاذبة فقد يؤمن بعضنا بخرافات لا صحة لها مثلاً، غير أنه قد يوجد من يشاركنا في هذا الاعتقاد، ثم إن الحقائق لا تعارضها بشكل صارخ، أما الاعتقادات الكاذبة في عقل المريض فلا يوجد لها دعم في المجتمع وليس لها وجود إلا في عقل صاحبها. فلا يستطيع مثلاً أن يعتقد الفقير ذو العقل السليم بأنه مليونير لعدم دعم الحقائق المحيطة به لهذا الاعتقاد، ولكن هذا الاعتقاد يمكن حدوثه لدى أصحاب العقول غير السليمة.

يمكن القول إذن، وببساطة ان المريض العقلي قد وصل مرحلة جديدة من توازن القوى العقلية ومن المعادلات الجديدة ومن القيم الخاصة بحيث انه يقنع بالعيش في عالم خاص وسط عالم العقلاء. أما

نجد أن ما بينيه الطبيب النفساني في العيادة والمستشفى يتوقف مصيره على ما تقدمه الأسرة من إساءة أو خدمة.

إن هذا المقال دفاعٌ ونداء، دفاعٌ عن الإنسان الذي يقع فريسة المرض ويحتاج إلى فهم ورعاية من قبل ذويه ومجتمعه، ونداء إلى من يتمتعون بصحة العقل إلى التروي والتواضع و«التعقل» عند تعاملهم مع مرضى العقول، فالمسألة ليست بالسهولة الظاهرة ولا بالمتعة العابرة، ولا بالتغاضي أو الغضاضة، لان هناك الأدلة الكافية بأن كل فكرة وحركة يقوم بها المريض العقلي لها معنى ومغزى واصل وهدف.

وهناك من المرضى الذين قدموا للطب النفسي خدمة عظيمة عندما اكتسبوا الشفاء، وسجلوا كل خواطرهم وذكرياتهم أثناء المرض فأفادوا أطباءهم ومجتمعهم. واذكر منهم على سبيل المثال المريض كليفورد بيرز الذي كتب مؤلفاً ضخماً يحوي كل ذكرياته عن جنونه وعن أوضاع المستشفيات العقلية التي تنقل بينها في أمريكا. وليكن معلوماً لدى الجميع أن المريض العقلي ليس بالأبله الذي تمر به الأحداث وهو ساه عنها، لان عقله يسجل كل شيء، فلا ينسى إهانةً ولا يغفرها، ويعرف الجميل ويدرك الحنان والعطف.

شخصين، إلا أن أحدهما يستمر في حياته الطبيعية دون أثر للاضطرابات والمرض، بينما سرعان ما تظهر أعراض المرض في الآخر بسبب أساليب تربيته وعلاقته مع والديه وأفراد أسرته.

ولو افترضنا ظهور المرض العقلي لدى شخص ما، فان ردود الفعل ومشاعر أفراد أسرته ستتدخل في مسار المرض وشدته، فالأم غير المتفهمة والأب اللامبالي أو المشاكس، والجهل والقسوة يعرقلون الشفاء أو ينقلون المرض إلى حالة الازمان والاستمرار.

أما في المرحلة الأخيرة، أي عندما يكون المريض قد عولج بصورة جيدة ثم عاد إلى بيته وأسرته، فإن موقف الأسرة سيقدر مصير وسير المرض دون شك، وهو ما نريد التحدث عنه، فقد وجد أن مواقف الأسرة تختلف عن بعضها بصورة ملحوظة، فهناك الأسر المعادية الغربية الأطوار التي تضع العراقيل -بعمد أو بغيره- أمام تحسن مريضها.

وهناك الأسر التي تعامل مريضها وكأنه قد أصيب بزكام بسيط فلا تكثرث لما هو فيه، وهناك الأسر الواعية المتفهمة المدققة التي تجند نفسها لتكون بمثابة هيئة تمريضية عالية الكفاءة تتلقن التعليمات من الطبيب المعالج بكل طاعة وتقدير. وهكذا

كتاب

شطحات العقل بين الإبداع والجنون

عدنان الياسري



الكتاب

من كتب الطب النفسي للكاتب الفرنسي «رافاييل غايار» والكتاب عبارة عن قراءة في العلاقة بين الجنون والإبداع من منظور علمي وتاريخي وفلسفي وطبي، يستعين الكاتب فيها بحالات مرضية ودراسات علمية حديثة في محاولة لإعادة تشكيل فهمنا للاضطرابات النفسية وشروط الإبداع الفني والفكري. صدر بالفرنسية عام ٢٠٢٢، وترجم إلى العربية، عام ٢٠٢٣.

الكاتب

رافاييل غايار. طبيب نفسي وباحث فرنسي بارز في علم الاعصاب المعرفي، يشغل منصب مدير المركز الجامعي



مضمون الكتاب

لقد ترسخت عبر العصور الصورة النمطية للمبدع المجنون الخارج عن المألوف. فهل الجنون هو أصل الفن والإبداع؟ أم أنه عائق أمام تجليه؟ وهل من أسس علمية للعلاقة الراسخة في مخيلتنا الجمعي بين الاضطرابات النفسية والعبقرية الإبداعية؟ وكيف يساعد الطب النفسي المصابين على تحرير طاقاتهم؟ لطالما بدا للجميع أن أصحاب العقول المبدعة، سواء كانوا فنانيين أو كتاباً أو علماء أو مثقفين، يرقصون في كثير من الأحيان على حافة الجنون، والأمثلة عديدة من الرسام فان غوخ، وعالم الرياضيات

للطب النفسي في مستشفى سانت-أن بباريس، يشتهر بأبحاثه حول الوعي، والاضطرابات الذهانية، والعلاقة بين الإبداع والجنون.

أبرز أعماله

أصدر كتاب «شطحات العقل: بين الإبداع والجنون» الذي يحلل آليات الوعي والتمثيل الذهني والاضطرابات النفسية.

عمله

مدير قسم الطب النفسي في مستشفى سانت-أن، وأستاذ في جامعة باريس تتركز أبحاثه على العمليات العصبية للوعي والاضطرابات الذهانية، وربطها بالإبداع الفني والثقافي.

لصالح الإنسان العاقل الهوموسابينس. قد تبدو فكرة ارتباط الاضطرابات العقلية بفائدة تطويرية للبعض مجنونة وغير قابلة للتصديق. مع ذلك، يعتقد الباحثون أن بعض السمات المرتبطة بهذه الاضطرابات قد ساعدت الإنسان على التكيف مع بيئته. على سبيل المثال، يمكن أن يكون القلق الزائد معيقا للإنسان، إلا أن القليل منه يملك فائدة في المواقف الخطرة، إذ إن القلق يثير ردة فعل القتال أو الفرار، ما يساعد الإنسان على البقاء. وهذا لا يعني على الإطلاق أن الاضطرابات العقلية بحد ذاتها هي ميزة، بل يتعلق الأمر بالآليات البيولوجية أو النفسية المرتبطة بها، التي قد تكون مفيدة في بعض الحالات.

لكن يجب الإشارة، إلى أن هذه النظرية تثير حاليا الجدل في المجتمع العلمي وما زالت في طور التكهّنات، فالعلاقة بين الاضطرابات العقلية والتطور ليست مفهومة بشكل كامل حتى الآن.

يشرح الكاتب بإسهاب كيف أجرى العلماء دراسات في إيسلندا والسويد، وتوصلوا إلى وجود جذور مشتركة بين الإبداع والجنون، ما فتح الباب أمام فهم أعمق لما يربط هذين العاملين المتباينين

العبقري جون ناش، إلى الشاعر شارل بودلير والكاتبة فرجينيا وولف الذين عانوا جميعا من اضطرابات عقلية. يغوص كتاب شطحات العقل بين الإبداع والجنون في هذه الأرض الوعرة، مستكشفا جذور هذه القرابة الغامضة ومحاوفا إيجاد صلة علمية بين الجنون والعبقرية.

فينطلق الكاتب من ملاحظة هامة وهي: الانتشار الكبير للاضطرابات في المجتمع الإنساني، كالشيزوفرينيا والتوحد واضطراب ثنائي القطب والاكْتئاب الحاد. ولتفسير هذه الظاهرة، يطرح الباحث فرضية: أن بعض هذه الاضطرابات قد عُززت عبر الأجيال المتلاحقة عن طريق الاصطفاء الطبيعي، الذي يعتبر مفهوما مركزيا في نظرية التطور لداروين. تستند الداروينية إلى فكرة: أن السمات التي تشجع البقاء والتكاثر هي أكثر احتمالا أن تنتقل وراثيا إلى الجيل القادم. وهذا يؤدي إلى تحسين تدريجي للكائنات الحية مع الوقت.

يعتقد صاحب كتاب أصل الأنواع أن الأفراد الذين تحلوا بصفات مفيدة وقوية كانوا الأقدر على النجاة والتكاثر في البيئة التي شهدت الاصطفاء الطبيعي. أمر أدى إلى اختفاء الإنسان البدائي النياندرتال

والمبدعين بشكل عام، لأنها تتيح لهم خلق عوالم وشخصيات خيالية. كذلك يتطرق المؤلف إلى الفن باعتباره مجالاً يمكن أن تأخذ فيه العواطف بعداً كبيراً.

يشير إلى أن العواطف المتنافرة والقدرة على استحضار تجارب مكثفة، وخلق أحاسيس الدهشة والغرابة، عناصر مشتركة بين الاضطرابات النفسية والفنون. مع ذلك، يحذر الكاتب من التمييز ضد الفنانين، داعياً إلى عدم تصنيف الأذهان المبدعة على أنها مصابة حتماً بالاضطرابات العقلية، فالإبداع لا يتطلب بالضرورة جنونا ومعاناة نفسية. يشجع الكاتب أيضاً المجتمع على التعرف إلى الاضطرابات النفسية وقبولها كجزء أساسي من التجربة الإنسانية من دون تمجيدها، لأنها تسبب فعلاً معاناة مريرة للمصاب.

كذلك يحث الكاتب على دمج الأفراد الذين يعانون من هذه الاضطرابات في المجتمع والاحتفال بتنوع التعبير الإبداعي. ينهي الكاتب أطروحته بالتأمل في مهنة الطبيب النفسي التي يتمثل دورها الأساسي في تخفيف معاناة المريض، مشجعاً الأطباء النفسيين على

ظاهرياً، والمفاجأة كانت أن المصابين بالجنون ليسوا هم بالضرورة المبدعين بل أقاربهم، لقد بينت الإحصائيات أن أقارب المرضى الذين يعانون من اضطراب عقلي هم أكثر ميلاً إلى ممارسة المهن الإبداعية، وأن هناك احتمالاً كبيراً للعثور على أشخاص مجانيين في الأسرة المبدعة والعكس صحيح. في بحث آخر، اطلع فريق من العلماء من إحدى شركات الأدوية الحيوية في أيسلندا، على بيانات مأخوذة من ٨٦ ألف شخص وجد أن الأفراد الذين يعملون في مجال الفن، كانوا مرجحين لحمل المتغيرات الجينية المرتبطة باضطراب ثنائي القطب أو الفصام بنسبة ١٧ في المئة أكثر من أفراد آخرين، ما يؤكد الرابط الجيني بين الجنون والإبداع. وأخيراً: يرى المؤلف أن ظهور اللغة كان عاملاً حاسماً في عملية التطور، لأنها مكنت الإنسان من بناء مجتمعات تعتمد على معارف مشتركة. فاللغة تلعب دوراً حيوياً في العملية الإبداعية لأنها تمنح الإنسان القدرة على ابتكار أفكار ومفاهيم غير موجودة فعلياً. بمعنى آخر، من خلال الكلام أو الكتابة، قد نولد عقلياً شيئاً ليس له أي وجود مادي.

إن هذه الوظيفة للغة تعتبر أساسية بالنسبة إلى الكتاب والفنانين

التبحر في مجالات المعرفة الأخرى مثل الفلسفة والفن لمساعدة مرضاهم.

اقتباس من الكتاب

يولد الاضطراب عامة من غزو جسم غريب لجسم آخر: عندما نحرك مياه الغدير، فإنها تتعكر لان الحبيبات الصلبة الراسبة تصعد فيها وتسلبها صفائها. لتفسير الاضطراب يجب اعتبار الغزو ممكنا، وهو مايتوجب أي نظام مغلق إلى إعادة منعه. باختصار، يجب الاحتراس من كل نقاء، نقاء الجسم كنقاء التفكير، للتمكن من التدبر في الاضطراب. وبالتالي السماح، لنفسك بكل صدق ان تضطرب منه. التفكير من منطلق الاضطراب يعني عدم الاستسلام إلى وضع نظام ما وقبول سبر مساحات الظل والمفارقات وفقدان المعنى. وهو أيضا ادراك الفريد في كل حياة ولقاء كل انسان يكافح ضد ما يولد فيه الاضطراب...

قيل في الكتاب

قيل: إن الكتاب يتميز بأسلوب سلس وواضح، ولغة غنية وممتعة، تجعل قراءته تجربة فريدة ومثرية، فقد اعتمد رافاييل غايار على منهج علمي رصين، مع الحفاظ على جاذبية السرد وتشويقه. الكتاب ليس موجها فقط للمتخصصين في الطب

النفسي، بل هو موجه لعموم القراء المهتمين بفهم أنفسهم والعالم من حولهم. إنه كتاب يفتح آفاقا جديدة للتفكير، ويدعونا إلى إعادة النظر في الكثير من تصوراتنا المسبقة عن الجنون والإبداع.

وقيل أيضا: وصفته صحيفة Le Figaro الفرنسية بأنه: «ذوق رفيع في العلوم والفنون والآداب».

وقيل أيضا: إنه كتاب مشوق جدا، زاد من غناه استناد الكاتب إلى العديد من المراجع العلمية والأدبية والفنية التي ساعدته في الدفاع عن فرضياته. وبالرغم من أن رافاييل غايار يناقش مواضيع علمية تتعلق بالجينات والطب النفسي والدماغ، فهو لم يتوان عن استخدام أسلوب سهل ومبسط كي يستطيع أي قارئ مهتما كانت خلفيته الاستمتاع به. من خلال الربط بين التطور واضطرابات العقل والإبداع، يدفعنا المؤلف إلى إعادة النظر في طبيعتنا البشرية. يذكرنا بأن تعقيد أدمغتنا يعود إلى عوامل عدة بيولوجية وبيئية وثقافية، ليخلص إلى أن الإبداع يتأتى غالبا من مواجهتنا لشياطيننا الداخلية.

مفاهيم قرآنية

الشيخ علي الغزي

لوالديه وزوجته وذريته، فجاءت الأولى في ذكر أولي الألباب وصفتهم من الوفاء بعهد الله، وعدم نقضهم الميثاق، ووصلهم لما أمر الله به أن يوصل، وخشيتهم لله، وخوفهم من يوم الحساب، وصبرهم لوجه الله، وإقامتهم للصلاة، وإنفاقهم في السرِّ والعلانية، ودرئهم السيئة بالحسنة، وأنَّ جزاء ذلك هو عقبى الدار المتمثل بدخولهم الجنة هم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.

وجاءت الثانية في ذكر دعاء الملائكة الذين يحملون عرش الله -عزَّ وجلَّ- للمؤمنين، وذلك بالاستغفار لهم، ووقايتهم من العذاب، وإدخالهم الجنة ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.

فامتاز هذا الأثر بكونه محفوظاً بوعده الله -عزَّ وجلَّ- ودعاء الملائكة.

هذا، والمراد من (الآباء) هنا -ظاهراً- ما يشمل الأجداد بقريظة الجمع والمقابلة مع الذرية التي لا تنحصر في ولده المباشرين، بل لا يبعد استعمال الآباء هنا بما يشمل الأمهات ولو تغليباً.

لازال الكلام عن متابعة مفردة الأب في القرآن الكريم، وبيان دلالاتها في سياق العلاقات التي وردت فيها، وتقدّم الحديث عن بعضها في الأعداد السابقة، ونتمّ الحديث عمّا بقي منها في هذا العدد إن شاء الله تعالى.

الأمر الحادي عشر: أثر صلاح العبد

على أسرته

إنَّ صلاح العبد لا يكون أثره مختصاً به، بل يمتدّ -بفضل الله تعالى- إلى محيطه الأسري، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(١).

﴿وَرَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

فجاءت الآيتان في سياق بيان الأثر المترتب على صلاح العبد على أسرته الشاملة

١- سورة الرعد: آية ٢٣.

٢- سورة غافر: آية ٨.

الأمر الثاني عشر: من أهوال يوم القيامة

لكن سياقها يتحدث عن الإنسان الكافر ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ وأن العموم يكون منهم، وذكر الوجوه المسفرة لزيادة التقريع وبيان الخسران، والمؤيد ضعيف السند ومعارض بما دل على كونه جارياً على غير المؤمنين^(٥).

بل لو سلمنا بالعموم المذكور فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾^(٦)، و﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٧)، و﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^(٨). ولا يُقال: إنه لا يخالفها، وإنما هي تخصصه تخصيصاً منفصلاً.

فإنه يُقال: ذلك كافٍ في عدم عمومها إلا بدواً، ولا قيمة له، ولعله من هنا روي عن أبي هريرة «قال: سمعت أبا القاسم يقول في هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ إلا من تولى بولاية علي بن أبي طالب -عليه السلام- فإنه لا يفر من والاه. ولا^(٩) يعادي من أحبه ولا يحب من أبغضه، ولا يود من عاداه»^(١٠).

٥- يلاحظ: التوحيد، للصدوق: ص ٢٦١.

٦- سورة النمل: آية ٨٧.

٧- سورة الأنبياء: آية ١٠٣.

٨- سورة النمل: آية ٨٩.

٩- لا يبعد أن تكون الواو هنا استثنائية، وليست عاطفة، أي: أن النبي^(ص) ترك الحديث عن المستثنى، وأخذ بالحديث عن بعض شأن أمير المؤمنين^(ع).

١٠- تفسير فرات الكوفي: ص ٥٢٩.

تحدث آيات القرآن الكريم في غير موضع منه عن يوم القيامة وأهواله، ومنها أن الإنسان فيه يكون تفكيره فرداني ولا يهمة سوى شأنه الشخصي حتى أنه يفر من ﴿أُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٣).

هذا، وقد يظهر من عموم الآية -لنصه على أنه لكل امرئ منهم شأن يغنيه، ثم صنّفهم إلى صنفين وجوه مسفرة ووجوه مغبرة، والتصنيف كالتقسيم يكون من العموم- أن هذا الحال عام لجميع بني البشر حتى المؤمنين منهم. ويؤيده ما روي عن أمير المؤمنين -عليه السلام- أنه كان «بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أن قال: أخبرني عن قول الله -عز وجل-: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ من هم؟ فقال -عليه السلام-: قابيل يفر من هابيل، والذي يفر من أمه موسى، والذي يفر من أبيه إبراهيم، والذي يفر من صاحبه لوط، والذي يفر من ابنه نوح يفر من ابنه كنعان»^(٤).

٣- سورة عبس: سورة ٣٥.

٤- الخصال: ص ٣١٨، ح ١٠٢. وعلق عليه الصدوق بقوله: «إنما يفر موسى من أمه خشية أن يكون قصر فيما وجب عليه من حقها، وإبراهيم إنما يفر من الأب الربى المشرك لا من الأب الوالد وهو تاريخ».

وروي عن «بعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام- قال: إذا قرأتم تبّت يدا أبي لهب وتب. فادعوا على أبي لهب؛ فإنه كان من المكذّبين الذين يكذبون بالنبيّ -صلى الله عليه وآله- وبما جاء به من عند الله عزّ وجلّ»^(١٥).

وما عاش أبو لهب بعد بدر «إلا سبع ليالٍ حتّى رماه الله بالعدسة»^(١٦) فقتله، فلقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتّى أنتن في بيته، وكانت قريش تتقي العدسة وعدواها كما يتقي الناس الطاعون حتّى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان إنّ أبكما قد أنتن في بيته لا تغيبانه، قالوا: إنّنا نخشى هذه القرحة، قال: انطلقا، فأنا معكما فما غسلوه إلاّ قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه، ثمّ احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتّى واروه»^(١٧).

المتحصّل من استعمال (أب) في

القرآن

الملاحظ أنّ مفردة (أب) استعملت مفردةً ومثناةً وجمعاً، في معانٍ متعدّدة:

١٥- ثواب الأعمال: ص ١٢٧.

١٦- بثرة تشبه العدسة، تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون، تقتل صاحبها غالباً. النهاية في غريب

الحديث والأثر: ج ٣، ص ١٩٠.

١٧- الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ٧٤.

الأمر الثالث عشر: أبو لهب

أبو لهب عبد العزى ابن عبد المطلب بن هاشم، وعمّ النبيّ الأكرم -صلى الله عليه وآله- كان من أشدّ المعارضين للنبيّ ولدعوته منذ بداياتها، فروي أنّه أنكر على النبيّ -صلى الله عليه وآله- لما دعا عشيرته الأقربين وأطعمهم ثمّ بيّن لهم أنّه بعثه الله -عزّ وجلّ- رسولاً، فقال له أبو لهب مستنكراً: ألهذا جمعتنا، تبّاً لك! وتفرّقوا، فنزل قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١١).

وأنه بعد نزول الآية أمر ولديه بمفارقة بنتي النبيّ -صلى الله عليه وآله- اللتين كانتا عندهما، ففي (نخائر العقبي) أنّه «كانت رقية تحت عتبة بن أبي لهب وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة فلما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمّد. ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما»^(١٢).

وأنّ بعض بني هاشم كانوا أسلموا، لكنّهم يكتمون إسلامهم خوفاً من أبي لهب^(١٣)، وأنّه لما حُصر بنو هاشم في الشعب خرج منهم أبو لهب وناصر قريشاً على قومه^(١٤).

١١- سورة المسد: آية ١: يُلاحظ: مسند أحمد: ج ١، ص ٢٨١.

١٢- نخائر العقبي: ص ١٦٢.

١٣- الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ١٠.

١٤- التحرير الطاوسي: ٤٦.

المفرد

استعملت مفردة في خمسة معان:

الأول: الأب المباشر، من ذلك قوله -عز وجل- ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾^(١٨)، و﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(١٩)، و﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢٠)، و﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢١)، و﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢٢)، ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢٣)، و﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾^(٢٤).

الثاني: في غير الأب المباشر في قوله -عز وجل- ﴿يَا بُنَيَّ أَدَمُ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾^(٢٥).

الثالث: في المرابي، وذلك في قوله -عز وجل- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢٦).

الرابع: في الكنية في قوله -عز وجل- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢٧).

الخامس: في معنى الأبوة في قوله -عز وجل- ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢٨).

المتنى

استعملت مثناة بما يشمل الأمّ تلياً في قوله -عز وجل- ﴿وَلَأَبْوِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾^(٢٩)، و﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٣٠)، ﴿يَا بُنَيَّ أَدَمُ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾^(٣١).

٢٥- سورة الأعراف: آية ٢٧.

٢٦- سورة الأنعام: آية ٧٤.

٢٧- سورة المسد: آية ١، يلاحظ: مسند أحمد: ج ١، ص ٢٨١.

٢٨- سورة الأحزاب: آية ٤٠.

٢٩- سورة النساء: آية ١١.

٣٠- سورة الكهف: آية ٨٠.

٣١- سورة الأعراف: آية ٢٧.

١٨- سورة مريم: آية ٢٨.

١٩- سورة الكهف: آية ٨٠.

٢٠- سورة الصافات: آية ١٠٢.

٢١- سورة يوسف: آية ٤.

٢٢- سورة يوسف: آية ٨.

٢٣- سورة القصص: آية ٢٥-٢٦.

٢٤- سورة عبس: سورة ٣٥.

الجمع

استعملت جمعاً في أربعة معان:

الأول: في الأب الحقيقي (الوالد) قوله -عز وجل- ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣٢).

الثاني: الأجداد في قوله -عز وجل- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٣٣).

الثالث: بمعنى الأسلاف السابقين، وإن لم يكونوا آباءهم أو أجدادهم، كما في قوله -عز وجل- ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣٤)، فإن ذكر إسماعيل معهم دال بوضوح على إرادة الأسلاف، وليس خصوص الآباء الحقيقيين، بل وشموله غير الأجداد؛ لوضوح أن يعقوب -عليه السلام- ابن إسحاق، وإسماعيل عمه.

٣٢- سورة الأحزاب: آية ٥.

٣٣- سورة يوسف: آية ٣٨.

٣٤- سورة البقرة: آية ١٢٣.

ويشهد به -أيضاً- وصفهم في بعض الآيات بالأقدمين والأولين، كقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾^(٣٥)، و﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣٦).

نعم، الظاهر أنها استعملت في سورة يس في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾^(٣٧) ليس بمعنى الأسلاف الأوليين والأقدمين، بل خصوص الطبقة القريبة منهم؛ لوضوح أن الخطاب فيها كان موجهاً للنبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- وقد أُنذِرَ أسلاف العرب من قبل.

الرابع: الجمع تغليبا بما يشمل الأم في قوله -عز وجل- ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣٨)، ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٣٩)، و﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤٠).

٣٥- سورة الشعراء: آية ٧٦.

٣٦- سورة المؤمنون: آية ٦٨.

٣٧- سورة يس: آية ٦.

٣٨- سورة الأنعام: آية ٨٧.

٣٩- سورة الرعد: آية ٢٣.

٤٠- سورة غافر: آية ٨.

أسئلة يجيب عنها بعض أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السؤال:

ما هي مستحبات الاحرام؟

الجواب:

يستحب في الإحرام أمور:

١- تنظيف الجسد، وتقليم الأظفار، وأخذ الشارب، وإزالة الشعر من الإبطين والعانة، كل ذلك قبل الإحرام.
٢- تسريح شعر الرأس واللحية من أول ذي القعدة لمن أراد الحج، وقبل شهر واحد لمن أراد العمرة المفردة.
وقال بعض الفقهاء بوجوب ذلك، وهذا القول وإن كان ضعيفا إلا أنه أحوط.

٣- الغسل للإحرام في الميقات. ويصح من الحائض والنفساء أيضاً على الأظهر. وإذا خاف عوز الماء في الميقات قدمه عليه، فإن وجد الماء في الميقات أعاده.

وإذا اغتسل ثم أحدث بالأصغر أو أكل أو لبس ما يحرم على المحرم أعاد غسله، ويجزئ الغسل نهائياً إلى آخر الليلة الآتية، ويجزئ الغسل ليلاً إلى آخر النهار الآتي.

٤- أن يدع عند الغسل -على ما ذكره الصدوق^(٥) ويقول: «بسم الله وبالله اللهم اجعله لي نوراً وطهوراً وحرزاً وأمناً من كل خوف، وشفاء من كل داء وسقم. اللهم طهرني وطهر قلبي واشرح لي صدري، وأجر على لساني محبتك، ومدحتك، والثناء عليك، فإنه لا قوة لي إلا بك، وقد علمت أن قوام ديني التسليم لك، والاتباع لسنة نبيك صلواتك عليه واله».

٥- أن يدعو عند لبس ثوبي الإحرام ويقول:
«الحمد لله الذي رزقني ما أوارى به عورتى وأؤدي فيه

هذه الصفحة مخصصة
للإجابة عن أسئلة القراء
الدينية بشكل عام، يمكنكم
إرسال أسئلتكم على:
+964 780 779 0073



E.mail:najafmag@gmail.com

ودمي، وعظامي، ومخي، وعصبي، من النساء والثياب، والطيب، أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة».

٨- التلطف بنية الإحرام مقارنةً للتلبية.

٩- رفع الصوت بالتلبية للرجال.

١٠- أن يقول في تلبيته: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك».

لبيك ذا المعارج لبيك، لبيك داعياً إلى دار السلام لبيك، لبيك غفار الذنوب لبيك، لبيك أهل التلبية لبيك، لبيك ذا الجلال والإكرام لبيك، لبيك تبتدئ والمعاد إليك لبيك، لبيك نستغني ويفتقر إليك لبيك، لبيك مرهوباً ومرغوباً إليك لبيك، لبيك إله الحق لبيك، لبيك ذا النعماء والفضل الحسن الجميل لبيك، لبيك كشاف الكرب العظام لبيك، لبيك عبدك وابن عبيدك لبيك، لبيك يا كريم لبيك».

ثم يقول: «لبيك أتقرب إليك بمحمد وآل محمد صلوات الله عليه وعليهم لبيك، لبيك بحجة وعمرة معاً لبيك، لبيك هذه متعة عمرة إلى الحج لبيك، لبيك تمامها وبلاغها عليك لبيك».

١١- تكرار التلبية حال الإحرام، عند الاستيقاظ من النوم، وبعد كل صلاة، وعند كل ركوب ونزول وكل علو أكمة أو هبوط واد منها، وعند ملاقاته الراكب، وفي الأسواق يستحب إكثارها ولو كان المحرم جنباً أو حائضاً، ولا يقطعها في عمرة التمتع إلى أن يشاهد بيوت مكة القديمة، وفي حج التمتع إلى زوال يوم عرفة، كما تقدم في المسألة ١٨٦ من رسالة المناسك.

فرضي، وأعبد فيه ربي، وأنتهي فيه إلى ما أمرني. الحمد لله الذي قصدته فبلغني، وأردته فأعانني وقبلني ولم يقطع بي، ووجهه أردت فسلمني، فهو حصني، وكهفي، وحرزي، وظهري، وملاذي، ورجائي، ومنجائي، وذخري، وعدتي في شدتي ورخائي».

٦- أن يكون ثوبه للإحرام من القطن.

٧- أن يكون إحرامه بعد فريضة الظهر. فإن لم يتمكن فبعد فريضة أخرى، وإلا فبعد ركعتين أو ست ركعات من النوافل، والست أفضل، يقرأ في الركعة الأولى الفاتحة وسورة التوحيد، وفي الثانية الفاتحة وسورة الجحد، فإذا فرغ حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وآله ثم يقول:

«اللهم إني أسألك أن تجعلني ممن استجاب لك، وأمن بوعدك، واتبع أمرك، فإني عبدك وفي قبضتك، لا أوقى إلا ما وقيت، ولا أخذ إلا ما أعطيت، وقد ذكرت الحج، فأسألك أن تعزم لي عليه على كتابك، وسنة نبيك صلى الله عليه وآله، وتقويني. على ما ضعفت عنه، وتسلم مني مناسكي في يسر منك وعافية، واجعلني من وفدك الذي رضيت وارتضيت وسميت وكتبت. اللهم اني خرجت من شقة بعيدة وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك. اللهم فتمم لي حجتي وعمرتي. اللهم إني أريد التمتع بالعمرة إلى الحج على كتابك وسنة نبيك، صلى الله عليه وآله، فإن عرض لي عارض يحبسني، فخلني حيث حبستني لقدرك الذي قدرت علي. اللهم إن لم تكن حجة فعمره. أحرم لك شعري، وبشري، ولحمي

تمور الكفيل

ALKAHEEL



جودة تستحق ثقتك



التحفة الاقترب

